



المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الشريعة بالرياض

قِصَصُ الْفِرَانِ

بَحْثٌ مَقْدَمٌ لِنَيْلِ الشَّهَادَةِ الْعَالِيَةِ لِلطَّالِبِ

جمار الله بن بيماء الحظيبي

فحاز على درجة الإمتياز لعام ٩٢ - ١٣٩٣ هـ

إشراف فضيلة الشيخ الأستاذ

مستاع خليل القطان

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com



المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الشريعة بالرياض

قِصَصُ الْفِرَانِ

بِحَثِّ مَقَدِّمٍ لِنَيْلِ الشَّهَادَةِ الْعَالِيَةِ لِلطَّالِبِ

جماله بن إيمان الخضير

فحاز على درجة الإمتياز لعام ٩٢ - ١٣٩٣ هـ

إشراف فضيلة الشيخ الأستاذ

مستاع خليل القطان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى ، وأصلي وأسلم على نبيه المصطفى ، وبعد

فأشكر الله ثم أشكر القائمين على هذه المؤسسة العلمية وهذا الصرح العتيدي حيث قرروا مادة البحوث . لأنها خطوة موفقة ويد بيضاء تقدم لطلاب العلم من هذه المؤسسة التي تعتبر معين علم وسلسيل معرفة . لأنها تأخذ بيد الطالب قسراً ، وتحثه على تصفح المطولات ، والغوص في بطون أمهات الكتب . .

وكم أنا سعيد ، حيث وفقني الله إلى اختيار موضوع – قصص القرآن – من بين المواضيع المعروضة للبحث . فقد لمست أولى ثمراته وهو الرجوع إلى كتاب الله الكريم الذي تعبدنا بتلاوته وحفظه . ولكن مشاكل هذه المدينة الحديثة وشؤونها شغلتنا عن ذلك . أقول هذا وكلي خوف من الله وخجل منه ثم من خلقه . ولكنه إقرار بالتقصير واعتراف بالذنب . فأعد الله وعداً صادقاً بأن استأنف حفظ كتابه حين التفرغ من الدراسة . فأسأله أن يعينني على ذلك فأحقق أمني وأدرك مناي . لأكون عالماً عاملاً فألقى الله وهو عني راض .

وها هي أولى ثمرات هذه البحوث تأخذ بأيدينا إلى كتاب الله لأنه المصدر الأول للشريعة فهو الدستور القويم والنظام السماوي الخالد من أخذ به نجا ومن أعرض عنه هلك .

وها هو قصصه الذي هو موضوع بحثنا هذا يعود بنا مئات السنين ليحدثنا عن الماضين ليوقظ القلوب النائمة ، ويستنهض الهمم الراقدة ،

لتستجلي العظة ، وتأخذ العبرة ، وتستفيد الحكمة . فلنا بالصالحين أسوة ، ولنا بالزائغين عبرة « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » وقد حرصت على أن ألم شتات البحث متمشياً مع العناصر الموضوعية لذلك . فيما وجدته في بطون الكتب . وبذلت في ذلك ما استطعته ، رغم عدم حصولي على بعض المراجع الهامة ، فإن وفي بالغرض فهذا ما كنت أرجوه ، وإن كانت الثانية فمن الكاتب الخطأ ومن القارئ المعذرة . فلكل جواد كبوة ولكل صارم نبوة .

وأخيراً أشكر فضيلة الشيخ مناع القطان الأستاذ بكلية الشريعة بالرياض . على إرشاداته القيمة وتوجيهاته الكريمة فله على الأيادي البيضاء . أقول هذا اعترافاً مني بالجميل لأهله فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء ، وفق الله العاملين .

الباحث

جار الله بن سليمان الخطيب
رابعة شريعة

عناصر البحث



- ١ - معنى القصص .
- ٢ - دراسة تحليلية تتضمن عناصر القصة .
- ٣ - أنواع القصص في القرآن .
- ٤ - فوائد القصص في القرآن .
- ٥ - تكرار القصة الواحدة وما في ذلك من حكمة .
- ٦ - الرد على من زعموا أن القصص في القرآن عمل في ليس له حقيقة تاريخية .
- ٧ - بيان أثر القصص القرآني في الدعوة والتربية والتهديب .

معنى لقصص

القص هو تتبع الأثر واقتفاؤه يقال قصصت أثره أي تتبعته ولفظ القصص مصدر .

قال تعالى : (فارتدا على آثارهما قصصاً) (١) فهو بمعنى تتبع الأثر قال تعالى : (وقالت لأخته قصيه) (٢) أي تبغي أثره حتى تنظري من يأخذه وتنظري ما انتهى إليه أمره وأين مستقره ومن هذا قولهم قص الأثر أي نظر فيه ، واقتفى آثاره وشواهدة ومعاله يقال قصصت أثره واقتصصته وتقصصته ، وخرجت في أثر فلان قصصاً أي تبغته ولحقت به في أثره ، ويقال قص عليه الرؤيا أي تلاها وأخبره بها وتحدث بها وفي القرآن الكريم (لا تقصص رؤياك على إخوتك) (٣) والقصص كذلك الأخبار المتبعة ، قال تعالى : (إن هذا هو القصص الحق) (٤) وقال تعالى : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب) (٥) أي في الأخبار الواردة عنهم . والقصة هي الخبر والأمر والشأن .

(١) الكهف آية ٦٤ .

(٢) القصص آية ١١ .

(٣) يوسف آية ٥ .

(٤) آل عمران آية ٦٢ .

(٥) يوسف آية ١١١ .

قصص القرآن

وقصص القرآن هو أخباره عن أحوال الأمم الماضية في العصور الغابرة والأزمنة الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة الماضية . فالقرآن قد حوى كثيراً من وقائع العصور المندرسة وتاريخ الأمم البائدة التي طواها الزمن ، وذكر البلاد والديار الهامدة .

ولقد تتبع أحوال كل قوم وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه فليس قصص القرآن مجرد أحداث تروى وإنما هو أحداث تتحرك ويتولد منها العظات والعبر . ومن هنا كانت تسمية الأخبار التي جاء بها القرآن قصصاً مما يدخل في المعنى العام لكلمة خبر أو نبأ وقد استعمل القرآن الكريم الخبر والنبأ بمعنى التحدث عن الماضي وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعمل فيه جرياً على ما قام به عليه نظمه من دقة وإحكام ، الأمر الذي جعل إعجازه في غاية الروعة ومنتهى البيان ، فلقد استعمل النبأ والأنباء في الأخبار عن الأحداث التي سلفت وطواها الزمان واستعمل الخبر والأخبار في الكشف عن الوقائع القريبة الوقوع أو التي ما تزال آثارها ماثلة للعيان . ففي النبأ والأنباء يقول الله تعالى في أصحاب الكهف (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) (١) ويقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل في شأن الأمم الماضية وما وقع فيها من مثلث (ذلك من أنباء القرى ... نقصه عليك ... منها قائم وحصيد) (٢) ويقول جل وعلا فيما يقصه على نبيه (تلك من أنباء الغيب نوحيها

(١) الكهف آية ١٣ .

(٢) هود آية ١٠٠ .

إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) (١) وفي الخبر والإخبار يقول سبحانه مخاطباً المؤمنين : (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) (٢) وفيما يجري يوم القيامة من أحداث يقول الله تعالى : (يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها) (٣) والتحديث بالأخبار إنما يكون في هذا الوقت الذي تقوم فيه الساعة ولنسمع إلى قوله تعالى : (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) (٤) لتجد أن القصص القرآني إنما هو من قبيل الأنباء... أي الأخبار التي بعد بها الزمن واندثرت أو كادت تندثر ولهذا سماها القرآن : من أنباء الغيب .

وعلى ضوء ما سبق ندرك أن القصص القرآني هو أنباء وأحداث تاريخية من صميم الواقع لم يلعب بها الخيال ولم تتلبس بشيء منه ولم يندسها شيء ولم يدخل عليها غير الواقع فهي حق نزلت من عند الحق اشتملت على مالم يشتمل عليه غيرها من أنواع القصص من الإثارة والتشويق وامتلاك الشعور وجذب الوجدان مع قيامها على الحقائق المطلقة والبراهين القاطعة والحجج الدامغة . فبهذه القصص تحدى القرآن بلغاء العرب وملوك البيان حيث وقفوا حيارى مشدوهين أمام هذا البيان الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فتبارك الله أحكم الحاكمين .

(١) هود آية ٤٩ .

(٢) محمد آية ٣١ .

(٣) الزلزلة آية ٤

(٤) الكهف ١٣

دراسة تحليلية في ضوء علم القصة

لقد سبق أن عرفنا أن القصص القرآني هو عرض لأحداث مضي بها الزمن وسجلها التاريخ ونطق بها القرآن ليكون دليلاً على ثبوتها ووقوعها .

فالقصص القرآني يُعتبر أصدق الوثائق التاريخية حيث أنه يعتمد اعتماداً كلياً على الحقيقة المطلقة فهو يختلف في ذلك عن القصة الأدبية التي لا تلتزم الحقيقة بل يعتبر من جمالها وتماها الإغراق في الخيال فكلما كانت مغرقة في الخيال كانت أقبل في النفس وأشهى للسمع فهي وإن اعتمدت في بعض جزئياتها على الحقيقة وعلى شيء وقع فلا بد أن يُحلق فيها الخيال في سماء الفن فطالما اعتمدت القصة الأدبية على الفرضيات والتوقعات فهي لم تقف على الحقيقة وحدها فالخيال يلون الأحداث بألوان غير ألوانها ويبدل ويغير بصورها وأشكالها وهذا هو الغالب الذي تعتمد عليه القصة الأدبية في الإثارة والتشويق وجذب الشعور إلى الحادثة لأنها تعرض بأسلوب لم يألفه الناس .

والذي نريد أن نقرره هنا أن القصة القرآنية سلمت من طوارق الخيال فلم تتعرض له في أي حلقة من حلقاتها ولا جزئية من جزئياتها وهي مع هذا قصة تأخذ بمجامع العقول وتأسر الألباب وتحدث من التشويق ما لا يحدثه أروع الملاحم وأكثرها إغراباً في الخيال وفي الكلام ، فهي مستغنية عن كل زخرف وغنية عن كل طلاء بما أفاض الله عليها من آيات الحسن والجمال والجلال ، فكل حسن إلى حسنها باهت وكل جمال إلى جمالها ما حل وكل جلال إلى جلالها ظل زائل . والقرآن ينظر إلى القصة نظرة

أكبر من مجرد أنها أحداث وحقائق تاريخية ، إذ أنها تحمل من العناصر التي تبرز الحقائق ما لا يحمله غيرها .

فالقصة في القرآن تتميز بطابع خاص إذ أنها حادثة لا كالحوادث التي تتحدث عن أمثال واقعة أو مفترضة . ففي القصص القرآني صور حية بين الخير والشر والنور والظلام والإيمان والشرك والهدى والضلال ، ومع هذا كله سمي القرآن الأحداث الماضية قصصاً (نحن نقصص عليك أحسن القصص) ، (إن هذا هو القصص الحق) والقصة القرآنية تستوفي جميع العناصر التي تحملها القصص الأدبية وأحب أن أذكر تلك العناصر كل عنصر على انفراد فأبدأ أولاً :

بالشخصية :

وسأطرق إلى شخصية الرجال والنساء والطيور والحشرة والملائكة والجن . والمراد بالشخصية حسب ما يعرفها الأدباء - بطل القصة - وقد بدأتُ بالشخصية لأنها غالباً ما تكون محور القصة ومدار الحديث وحولها تدور الحوادث فهي من أبرز العناصر بعد الحادثة ففي بعض الأحوال تسبق الحادثة الشخصية في البروز فتكون هي المحور الذي تدور حوله الأحداث فهما متوازيان ومتساويان في البروز ولكن تغلب في أغلب الأوقات الشخصية فتبرز وتستأثر في البروز ولكن الغلبة في هذا الموضوع لما اقتضته الحال واقتضاه المقام فما اقتضته الحال كان هو البارز وكان الاقتضاء عاملاً من عوامل بروزه فكما قلت سلفاً أن الشخصية إذا أطلقت لا يراد بها تخصيص نوع معين من المخلوقات فلا تقتصر على الرجال وحدهم ولا النساء وحدهن وإنما يراد بها كل من كان بطلاً لقصة أياً كان ، وأود أن أتكلم عن شخصية الرجال أولاً .

١ - الرجال كثيرون في القصص القرآني لأنهم هم الذين عليهم أعباء الحياة الخارجية فمنهم الرسل والأنبياء كآدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم

وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وشعيب ولوط وموسى وزكريا ويحيى
وأيوب وعيسى ومحمد وغيرهم . ومن الرجال أيضاً أفراد كسائر الناس
(من عامة البشر) أو ملوك ووزراء كفرعون وهامان وآزر والعزير وابن
نوح وأصحاب يوسف في السجن .

ولكن الملاحظ أنه لدى عرض أي شخصية من شخصية الرجال في
القصة لا تجد لهم وصفاً يوصفون به كالصفات الجسمية فلا يوصفون بطول
ولا عرض ولا لون بشرة ولا ملامح ولا قسماط ولكن في القرآن إشارة
إلى بعض صفات بعض الشخصيات وهذا قليل ومحصور كالإشارة إلى لكنة
موسى في قوله (وأحلل عقدة من لساني) فإننا ندرك من هذا أن موسى :
لا يساعده لسانه على النطق وعلى إبانة الكلام إبانة مطلقة ويزيد الأمر وضوحاً
قول فرعون (ولا يكاد يبين) وكذلك قوله تعالى في سياق الكلام عن
طالوت (وزاده بسطة في العلم والجسم) نفهم منه متانة جسمه وكماه .

وزيادة على هذا يلاحظ قارئ القرآن أن القرآن مع إغفاله للصفات الجسمية
للشخصيات (غالباً) يغفل ذكر اسمها في بعض المواضع وهي المواضع
التي يقصد من إيراد القصة فيها التخويف والإنذار - وأغلب ما يكون ذلك
في القصة التي تبرز فيها الحادثة على الشخصية - مثل قوله تعالى :

(كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد
فأهلكوا بريح صرصر عاتية . سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً
فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية) .
وقوله تعالى :

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من
الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثلته كمثل
الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) .

وكذلك فلنستمع إلى قوله تعالى :

(أو كالذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أنّ الله على كل شيء قدير)

فمما سبق ندرك أن المواضع التي تقتضي التخويف والإنذار يبرز فيها عنصر الحادثة على عنصر الشخصية .

وخلاصة القول :

إن شخصيات الرجال في القصص القرآني - بالذات - تتميز بالأحداث التاريخية المعروفة فليست مقصودة لذاتها وإنما المقصود هو الحوادث التي جرت حولها . لأن الهدف من سياق القصص هو العبرة والعظة ولما يكمن خلفها من حكم وآيات وليس المراد من سياق القصص هو تمجيد الشخصيات أو ذكر أوصافها وكشف أحوالها أو التنديد بما عملت . فالقرآن حينما يعرض الشخصيات فإنما يعرضها كنماذج بشرية في مجال الحياة الخيرة أو الشريرة وفي صراعها مع الخير والشر وفي تجاوبها مع دعاة الخير أو مع أئمة الضلال فهي دليل وشاهد من شواهد الإنسانية في القوة والضعف والطاعة والعصيان والضلال والهدى والرشد والغبي وفي الحكمة والسذاجة إلى غير ذلك مما تندرج تحته عوالم الإنسانية في هذا الكون الفسيح وفي هذه الحياة الدنيوية . وما دمنا تكلمنا عن شخصية الرجال فلا بد من الكلام عن شخصية النساء .

وهو النوع الثاني من أنواع الشخصية ، فأقول :

لقد أورد القرآن أسماء بعض النساء وكنم أسماء كثيرة أيضاً لحكمة اقتضتها

الحال أو لا طائل تحت ذكر أسمائهن . ولقد أورد شخصية المرأة كما قلت أحياناً مصرحاً باسمها ولكن الغالب عدم التصريح بذلك لأن الهدف كما قلت يكمن خلف الأحداث وليس خلف الشخصيات ، فالقصص القرآني لا يورد إلا الباب وقد صرح القرآن باسم مريم أكثر من مرة بينما أعرض عن ذكر أسماء الكثير منهن كحواء أم البشرية لم يذكر اسمها ولا مرة واحدة مع أنها أم البشرية وأول امرأة تعيش في هذه الدنيا وهي التي سكنت الجنة ثم أنزلت الأرض فتاب الله عليها ، وامرأة نوح ، وامرأة لوط ، وامرأة إبراهيم ، وامرأة عمران ، وامرأة العزيز ، وامرأة فرعون ، و، وملكة سبأ ، وإبنتي الشيخ . ولكن كما قلت سلفاً إذا دعت الحاجة إلى ذكر اسم المرأة أو كان هناك حكمة تقتضي هذا التصريح ذكر اسمها .

فمثلاً كرر القرآن إسم مريم والهدف من ذكره تأكيد أن عيسى ليس ابنا لله كما قالت ذلك طوائف الضلال وليثبت أيضاً أنه ولد بلا أب كما خلق آدم بلا أم ولا أب فتكرير اسم مريم مصرحاً به ينطوي تحته حكم كثيرة وعبر جملة وآيات عظيمة وهذه الأمور تتطلب بروز الاسم فبرز مصرحاً به .

وعند تقصينا لشخصيات النساء نجد هناك فارقاً جوهرياً بينها وبين شخصيات الرجال فبينما نجد شخصيات الرجال تبرز في الرسالة والنبوة والدعوة إلى الله والملك في الأرض والمصالح الدنيوية والأغراض المادية إلى غير ذلك من متطلبات الحياة ولوازم المجتمعات . نجد النساء يغلب عليهن عنصر العاطفية والانفعال فهن يعشن خاضعات للمؤثرات ومتلبسات بما جبلت عليه النساء أجمع في هذه الدنيا من سرعة انفعال وعاطفة وغرائز وغيرها من الخصال التي تلحق النساء خاصة وعهد عنهن في هذا الكون فالمرأة بطبيعتها قاصرة المعرفة إلا ما ندر فشخصيتها تدور حول ما جبلت عليه وما هو من شئونها .

أما النوع الثالث من أنواع الشخصية فهو : -

شخصية الطير والحشرات :

ويمثل شخصية الطير لدينا الآن - الهدهد - حينما اكتشف مملكة سبأ وأتى إلى سليمان ليخبره بالواقع ويطلعه على الأمر فهو يقف بين يدي سليمان موقف المفتخر بما فتح الله عليه فيخاطب النبي بقوله (أحطت بما لم تحط به) فكم كانت دهشة سليمان حينما فاجأه الهدهد بهذا الخبر في وقت كان سليمان يحاول العثور عليه ليعاقبه جزاء لتخلفه عن الحضور لدى سليمان كما يحضر غيره من الطير والمخلوقات ولم يكن بحسبان سليمان أن هذا المخلوق الضعيف سيحيط بما لم يحط به وهو النبي الذي أوتي كل شيء فلنستمع إلى القصة من صلب القرآن الكريم حيث يقول تعالى :

(وتفقده الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائين . لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين . فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجنتك من سبأ بنبأ يقين . إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجاتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يبهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ إني اتى إلى كتاب كريم) الخ الآيات من سورة النمل .

فشخصية الهدهد هنا هي الشخصية البارزة وهو يقف موقف البصير الحاذق فيتعجب كيف هؤلاء الأقوام استهواهم الشيطان وأغواهم فعبدوا الشمس من دون الله فيسترسل في كلامه فيبين أن أسباب الهداية منصوبة أمامهم ، ولكن الشيطان أعماهم عن الحق وزين لهم الباطل . ثم يزيد الأمر وضوحاً لأنه في موقف المرشد - فيبين أن الله هو الذي يخرج الخبء ويعلم

السر والعلانية ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ولكن القوم لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها فتعسأ لهم وما كانوا يصنعون .

أما شخصية الحشرة فتمثلها النملة في شخصيتها وحوارها مع أخواتها حينما تطلب منهن اللجوء إلى مساكنهن لئلا ينالهن الأذى ويصيبهن الشر من سليمان وجنوده فهي تناشدهن أن يدخلن البيوت والمساكن حتى يكن بمأمن من الخطر فها هو القرآن يحدثنا عن هذه القصة مبينا شخصية النملة ودورها الذي مثلته في هذا الموقف قال تعالى :

(وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين . وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون . حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها) الآية من سورة النمل .

فالقصة السالفة الذكر تشعرنا بشخصية هذا المخلوق الضعيف الذي عرضه القرآن كمثال لشخصية الحشرة في القصة فبارك الله أحسن الخالقين .

وهناك نوع رابع من أنواع الشخصية هو شخصية الملائكة والجن :

فلاحظ حين تتبعنا لقصص القرآن شخصية الملائكة تبرز في شخصيات البشر ولا أحسب أحداً يجهل قصة أضياف إبراهيم ولوط وكذلك قصة زكريا ومريم حينما جاءها الملك في زي البشر فاضطربت وخافت واستعانت بالرحمن شأنها شأن كل فتاة عفيفة طاهرة تخشى العار في الدنيا والعذاب في الآخرة ففي هذا يقول الله تعالى :

« واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً .

قالت أنتى يكون لي غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً . قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً)....
.... ألخ ، الآيات من سورة مريم .

فهذا الملك يصادم تلك الفتاة العذراء الشريفة الكريمة العفيفة الطاهرة بهذا الخبر وهو بصورة البشر فتتردد مريم في أمره وتستعيد بالرحمن لتعظه وترهبه إن كان من البشر فيكشف لها حقيقة الأمر ويكون ما كان من أمر عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وكذا قصة هاروت وماروت وتعليمهما الناس السحر ولسنا بصدد حصر قصص القرآن التي تتمثل فيها شخصيات الملائكة فقد يطول المقام ، ولكن الجدير بالذكر أن الملائكة يأتون بصورة البشر فلا تنكشف حالهم إلا بعد مراحل من القصة والمتبع لقصة أضياف إبراهيم ولوط وصاحبي النعاج اللذين احتكما لداود والملك الذي قابل مريم وغيرهم من الملائكة يجد أنهم لم يتضحوا إلا بعد ما يمضي وقت من القصة .

وإذا ما تركنا الملائكة إلى الجن . نجد أرواحاً خفية لا تتمثل عادة في الصورة البشرية في قصص القرآن فإننا نلمس الحركات ونسمع ونلاحظ الانفعالات والاضطرابات النفسية فيما نقرأه وفيما نسمعه ولكن لا نشاهد صوراً حسية ماثلة للعيان تبين خلقتهم . والجن كل مسلم يعتقد أن فيهم المؤمن والمنافق والمسلم والكافر والمهتدي والضال فهم يخافون من اليوم الموعود ومن عذاب الله كما يخاف البشر مؤمنهم يتبع القرآن ويجنب نواهيهم وفاسقهم يحق عليه ما وعد به القرآن ويفهم هذا من سورة الجن حيث تعرض نوعاً من ذلك حيث يقول الله تعالى :

(قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجيباً .
يهدي إلى الرشاد فآمننا به ولن نشرك بربنا أحدا ... ألخ الآيات .

أما الجن في مملكة سليمان فلهم حياة أخرى ومعيشة ثانية حيث أنهم

ما بين مقرن بالأصفاذ وغواص وبناء فهم مسخرون للخدمة شأنهم شأن سائر الخدم ولكن صورتهم مبهمة غامضة : (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء ... الخ .

ومن الحسن أن نذكر هنا نفساً شريرة آتمة خاسئة هي شخصية إبليس وصوره وموقفه من ربه حين خلق أبا البشرية عليه السلام (آدم) وإيقاعه به وإخراجه من الجنة فهو مثال لأشر نفس وأقبح صورة فهو مثال للشخصية المتكبرة المتغترسة في أعنت المواقف

« ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين . قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . قال أهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين . قال انظرنى إلى يوم يبعثون ... الخ

فإبليس امتنع عن السجود بجبروت وكبرياء وغطرسة فحقت عليه اللعنة وطرده من الجنة ولكن لماذا طلب الإنظار ؟ لقد طلب الإنظار ليحتنك ذرية آدم وليغيوهم كما أغوى أباهم من قبل وما أكثر الذين كانوا حزباً له إلا من عصم الله فلقد زَيْن لآدم فأكل من الشجرة فتاب الله عليه وأنزله من الجنة ومن بعد آدم ذريته فلقد أهلك طوائف من البشرية وأوردها موارد الردى ويتوعد باقيهم فهو مخلد إلى يوم لا يبقى بعده من البشر أحد فهو من المنظرين فنفسه الشريرة تدير الدوائر وتربص الفرص وتغتئم المناسبات للإيقاع ببني آدم فالتاريخ يشهد بالصراع المرير الذي جرى بين الحق والباطل فهو حافل بتلك الأحداث ، فأبليس اللعين هو حامل راية الباطل ولواء الشرك على مر العصور فهو زعيم الطغيان ورئيس الضلال ولكن ليس له سلطان على المؤمنين فهو مدحور ولا ييسط نفوذه إلا على حزبه ومن اتبعه (إننا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) .

وروي أن الشيطان تمثل يوم بدر في صورة سراقبة بن مالك بن جعشم .

ورد هذا في تفسير قوله تعالى : « واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم » (١)

وبهذا أظن أنني تكلمت على العنصر الأول من عناصر القصة وهو الشخصية فآن لنا الانتقال إلى العنصر الذي يليه وهو الحادثة – أو الحوادث :

الحادثة : ويراد بالحادثة الوقائع التي جرت والحوادث التي درست فكما قلت في مستهل عناصر القصة إن الحادثة والشخصية يتنافسان على البروز . أقول هنا أن بروز الحادثة أو الشخصية راجع إلى المقام فإذا تطلب المقام أحدهما برز على الآخر ، فما كمنت فيه العبرة والعظة والحكمة وجدت له الصدارة في البروز فإذا كانت الحادثة إذا برزت أحدثت في النفس أثراً وأقامت في الضمير وازعاً وفتحت العقل والقلب على مواقع العبرة والعظة وجدناها بارزة على عنصر الشخصية لأن الحكمة من سياق القصص في القرآن ككل هو اتباع الخير واجتناب الشر والسير تحت مشعل الهداية والابتعاد عن طريق البغي والعدوان فمن المعلوم لدى دارس القصة في القرآن أن القرآن لا يمسك الأحداث الواقعة في الحياة كلها وإنما نجده يمسك من الحوادث والوقائع ما يراه مجلياً عن عبرة ومدلاً على عظة لتنتفع به الأمة الإسلامية حين الصدع بالدعوة والجهر بها لتكون طريقة الدعوة عن دراية وعلم وتجربة لتكون أجدى وأنفع وأقرب للعقول . فاقصر القرآن على مواطن العبرة في القصة وعدم ذكر جميع ملابسات الأحداث التي جرت لا يعني عدم وقوعها ولا يعني شبهة المغالطين في قولهم (إن القرآن أباح التصرف في الأحداث على أي وجه من الوجوه وقد أدخل في القصص القرآني ما ليس من صميم الواقع أو أنه غير وبدل في معاملة) . فهذه مغالطة شنيعة يمجها السمع وتأبأها الأنفس فالقرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو من صميم الواقع وقصصه لباب الحادث وأورد

(١) الأنفال ٤٨ .

من الحادث ما يخدم الدعوة ويفتح للناس طرق السعادة ولكن الذين في قلوبهم مرض يأبون إلا أن يحاولوا النيل من القرآن وذلك بالطعن في قصصه والتشكيك فيها ، فتارة يقولون بالتكرار ، وتارة يقولون بالأساطير وأخرى بالخيال ، فهم يسلكون جميع النواحي للنيل منه ولكن يحميه الله من كيد الكائدين الذين يتعلقون بحجج أو هي من خيوط العنكبوت فهم يتخبطون ويرجعون بخفي حنين . فماذا ينفعهم قولهم إن فرعون لغته غير عربية وأورد القرآن قصته عربية وبلغة فصيحة . فهذه الدعوى المتهافنة إدّعوا الخيال والأساطير وهذا حد إدراك الفهم السقيم وزعمت طائفة منهم أن الترجمة لا بد أن تخل في المعنى أو بعضه ونسي أولئك المغفلون من البشر أن القرآن لم يتقول على أحد ولم يفتّر فرية وإنما نقل الواقعة من فم أصحابها حية نابضة بترجمة نزيهة بمنتهى الروعة والجمال ، فالقرآن يخاطب العرب ومن حولهم والجميع ينطقون اللغة العربية الفصحى فياترى ماذا يفهم العرب لو خاطبهم القرآن بلغة الأقباط والفرعنة أو أي لغة أخرى سوى العربية ، وهل سيكون لها إعجاز يبهر العقول ؟ وهل ستكون آية ؟ وهل ستبلغ العرب مثلما بلغتهم باللغة العربية ؟ . وأخيراً هل سيدرك العرب مضمونها مثلما أدركوه من قصص القرآن ؟ الجواب سيكون حتماً بالنفي لجميع التساؤلات السابقة ولن يدرك العرب إلا ما ورد باللغة التي ينطقونها سليقة .

فالقرآن صور الأحداث صوراً مجسمة يدركها القارئ حينما يقرأ قصص القرآن ، فالقرآن في عرضه للحادثة يصورها تصويراً تاماً بأبلغ عبارة وأوفى معنى وأرقى بيان فمما سبق نعلم أن الحادثة من أهم عناصر القصة فطالما نافست الشخصية على البروز وسبقتها ويأتي تلوالهما الحوار وهو العنصر الثالث من عناصر القصة .

الحوار : - ومن المسلم به أنه لا يكون إلا بين شخصين فأكثر ويختلف من ناحية الطريقة وكذلك المواقف والأزمات فأسلوب الحوار في كل موقف يغاير الآخر فلمواقف الشدة حوار ولمواقف الرخاء والسعة حوار وآخر ونلمس

هذا حينما نتدبر قصص القرآن فنجد الصرامة والقوة في المواقف الحرجة والمتأزمة بينما نجد الهدوء والطمأنينة في مواقف السعة والرخاء وذلك مائل للعيان ولكل متدبر لقصص القرآن ويتميز الحوار في القصص القرآني بميزة لا يجاريه فيها الأدب في قصصه مهما علا ومهما كانت رتبته من الناحية البلاغية . إنها ذاتية المتحاورين .

فحينما نقرأ قصص القرآن لا تملك من أمرك إلا التسليم بوجود تلك الشخصيات المتحاوره تسليمًا مطلقاً فتؤمن إيماناً تاماً بأنها شخصيات واقعية لها وجودها الذاتي ولها منطقتها وتفكيرها وأسلوبها الذي تعبر به عن موقفها دون أن نستشعر بأن ملقناً من ورأها يلقنها الكلام الذي تنطق به في المشهد أو يحركها الحركة التي تؤديها فيه . ولكن عكس ذلك تماماً نحس به حين قراءتنا للقصص الأدبية فلا نجد فيها الروح المعنوية التي تؤمن بها النفوس بل لا تميل النفس إلى الحقائق الواردة في السياق الأدبي ، والسبب في ذلك هو نزع الثقة من حقائقه لأن الخيال والأساطير تلعب دورها في مجال القصص الأدبي بل تعتبر من جوهر القصص الأدبية فأى قصة أدبية خلت من الخيال فقدت رونقها وجمالها وبما أن الحوار في القصص القرآني هو الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي وبغير حوار لا نجد الفائدة الحقة ولا نجد ذلك الذوق الرفيع والتلوين البديع في الحادثة والجمال والبيان الذي لا عمه النظر ولا ترهد فيه النفس فهو روضة خلاصة تدهش العقول وتأسر الألباب بما منحها الله من آيات الحسن والبهاء والإعجاز . ومهما قلنا في وصف الحوار في القصص القرآني أعتقد أننا لانوفيه حقه ولن يجدي وصفنا شيئاً لأنه يقصر دونه الوصف . والقرآن في الأسلوب الحواري يذهب كل مذهب ويلونه ألواناً مختلفة حسب مقتضى الحال وداعية المقام فهو حيناً يختصر ويعرض عرضاً سريعاً يطوي فيه التفاصيل وتغني فيه الإشارة اللامحة والأساليب الكاشفة . وأحياناً يفصل الأحداث تفصيلاً : حيث لا يكون غير الكلمة ما يغني غناءها ويسد مسدها والحوار في سائر

أحواله في قصص القرآن يصور المواقف تصويراً تاماً يتناول جميع أجزائها وعلى هذا فقد نشهد مشهداً قصيراً ولكنه يجمع أجزاء الحدث كلها بحيث يرى المشاهد جميع الوقائع التي شاركت في بناء الحدث . وقد نقرأ مشهداً طويلاً ويوجد بين طياته فجوات يدركها المرء من سياق الكلام وقرائن الأحوال ومقتضياتها ومن المشاهد القصيرة التي يظهر فيها الحوار مفصلاً غير مجمل هذا المشهد الرائع الذي كان بين موسى عليه السلام وابنتي الشيخ :

« ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان » .

« قال : ما خطبكما ؟ » .

« قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير » .

ياله من إعجاز سماوي جمع فأوعى إنه تفصيل رائع بعبارة قصيرة فالفتاتان هنا صرحتا بأمر لا بد منه وهو أمر يجمله موسى ويخفي عليه فهو لا يعلم حقيقة ابتعادهما هل هو حياء وابتعاد عن مزاحمة الرجال أو ضعف أو غير ذلك ولكن استبان الأمر ووضح من كلام الفتاتين وتصريحهما بجالهما وضعفهما وأن لا رجل يسقي لهما وأن أباهما ضعيف الجسم لا يستطيع السقي ومقاومة الناس .

وحين عرف موسى حقيقة الأمر عمل ما استطاعه حتى سقى لهما وهذا مما تقتضيه المروءة والرحمة والرأفة والإنسانية التي تفتقدها الأمة الإسرائيلية فإننا من هذه القصة نلمس خصالهم الشنيعة وخلقهم الذميم فقلوبهم أقسى من الحجارة فلا رأفة ولا إنسانية فأنفسهم في غاية الجفاء والأنانية فلا يلتفتون لفئة رحمة إلى هاتين الفتاتين الضعيفتين العفيفتين فيسقون لهما لتصرفا إلى أهلهما فلا تقفان خلف الرجال وقوفاً لا طائل تحته ولا ثمرة مرجوة منه وهما العذراوان اللتان لبستا الحياء لهما حلية وستاراً شأنهما شأن العذارى العفيفات اللاتي يتميزن بالحياء والعفاف الذي هو زينة الفتاة وبهاؤها

وجماها المعنوي . ولكنهم جملوا على الجفاء والقسوة ونزع الإنسانية .
وإلا فأى نفس تستسيغ بقاء فتاتين خلف الرجال ومعهما شويهاتهما
بلا سقي والمانع لهما الحياء والضعف الذي لم يجد من البشر الذين حوله من
يرحمه ويقدره .

حقاً إنه لم يجد من يقدره . لأن ما حوله من بني آدم إلا ذئاب في
ثياب البشر ولكن الله أرحم من عباده فلقد قيض لهاتين الفتاتين موسى عليه
السلام وسقى لهما لأنه يحمل نفساً زكية مؤمنة طاهرة تبادل الناس الاحترام
وترحم الضعيف وتساعدته وتواسي المنكوب وتنصره فقد رحم هاتين
الفتاتين وسقى لهما وشاء الله أن تكون سبباً في زواجه من إحدى ابنتي الشيخ
فمما تقدم نعلم كيف كان التفصيل بهذا المشهد السريع القصير .

وأما المشاهد الطويلة التي ترك القصص القرآني فيها فجوات ولم يتقن
على كل جزئيات الأحداث ولم يتتبع كل خطوات تحركاتها فمنها ما كان في
قصة يوسف حيث ترك القرآن هناك كثيراً من الأحداث والمواقف
والحركات وطوى كثيراً من الأيام والشهور والأعوام ومن ذلك - ما كان
بين التقاط يوسف من الجب ووصوله إلى أرض مصر ودخوله بيت
العزيز . فإنه لم يجز لكل هذا ذكر في القصة .

« وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ... وقال
الذي اشتراه من مصر لأمرأته أكرمي مثواه » .

فالمرء حين قراءته للقصة السالفة الذكر يرى أن هناك مسافات بعيدة
طويت وأزمنة متفاوتة لم تذكر ولم يذكر ما جرى خلالها والسبب في ذلك
أنه لا فائدة من ذكرها ولا يكمن بها عبرة ولا عظة فلا متعلق لها بهدف
القصة ومضمونها ثم هي أيضاً معلومة من البديهة يتصورها القارئ ويدركها
أثناء قراءته للقصة ويسلك بها أي طريق يريد وبأي أسلوب يعبر حيث
يجد أنه في الختام يصل إلى بيت العزيز بمصر . وهذا يعتبر من المشاهد الطويلة

التي تعتبر في غاية الروعة والبلاغة والحكمة الإلهية الباهرة وبهذا نكون قد القينا بعض الضوء على هذا العنصر الثالث من عناصر القصة وهو الحوار وبه نختم عناصر القصة الثلاثة الشخصية ، الحادثة ، الحوار .

تتمة : —

لقد زاد بعض الكُتّاب عناصر القصة عنصرين هما المناجاة والقضاء والقدر وهو الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه الفن القصصي في القرآن . وحيث انني غير مقتنع بهذين العنصرين قناعة تامة أخذت رأي فضيلة الشيخ مناع القطان مشافهة فأخبرني أن هذين العنصرين إن وجدا في بعض القصص فغير موجودين في سواها وبما أنها لا تعتبر عناصر لكل قصة فلا يصح إطلاقها وجعلها من العناصر الأساسية للقصة . فاقنعت بكلامه لما له من الوجاهة ولأنه وافق ما يدور بخاطري فلذلك نكتفي بالعناصر الثلاثة السالفة الذكر .

أنواع لقصص في القرآن

لقد بحثت في بطون الكتب عليّ أجد ما يشفي الغليل حول هذا الموضوع ، فلم أجد كتاباً منفرداً بحث هذا الموضوع بحثاً تاماً وإنما بحثه المؤلفون في أثناء كلامهم عن قصص القرآن استطراداً وقد اعتمدت في بيان أنواع القصص اعتماداً كلياً على كتاب فضيلة الشيخ مناع القطان « مباحث في علوم القرآن » حيث أفرد فيه فصلاً خاصاً عن القصص في القرآن ، ولكن البحث كان في غاية الإيجاز فهو رؤوس أقلام فقط ، وقد قسم القصص في القرآن إلى ثلاثة أنواع وهي :

- ١ - قصص الأنبياء .
- ٢ - قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة وأشخاص لم تثبت نبوتهم .
- ٣ - قصص يتعلق بالحوادث التي حدثت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكما قلت أن هذا التقسيم للقصص لم أجده إلا في كتاب (مباحث في علوم القرآن) وحيث إنه مختصر ولم أعر على كتاب بحث في هذا التقسيم إلا استطراداً فقد اعتمدت على الكتاب المذكور في التقسيم ثم استأنفت البحث في الكتب مستعيناً بالله راجياً منه التوفيق فأبدأ أولاً بالنوع الأول من أنواع القصص في القرآن وهو : **قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام** ويندرج تحت هذه القصص نبوتهم وإرسالهم إلى قومهم والمعجزات التي أيدهم الله بها

ليتغلبوا على المعاندين الذين يتصدون للدعوة ويقودون قوى الطغيان ليجابها
بها الحق كما قال تعالى :

« يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره
الكافرون » .

فمن سنن الله ومن آياته البليغة أن جعل الحق والباطل في صراع منذ
الأزل وعلى مر العصور وتكون الجولة الأخيرة لصالح الحق والغلبة
لقوى الخير « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

ومن خلال تصفحنا لهذا النوع من القصص نرى موقف المعاندين
من أنبيائهم وماذا كانت وجهاتهم ونزعاتهم ومراحل الدعوة وأطوارها
وما اعترأها في سبيل إعلانها والصدع بها وعاقبة الذين آمنوا وعقاب
الذين كذبوا فلكل منهم ما اكتسب . ولكل منهم وجهة هو موليا فإننا
حين نتبع قصة نوح نجدها عرضت مفصلة في القرآن الكريم في عدة مواضع
فلقد عرضت في سورة الأعراف وسورة هود وسورة المؤمنون وسورة
الشعراء وسورة القمر وسورة نوح فقارئ القرآن المتدبر لدى تقصيه للمواضع
المتعددة التي عرضت سورة نوح يجد أنه أمام صورة حية سوفف نوح
عليه السلام من قومه فيجد أن القصة ابتدأت بالدعوة إلى الله ونبذ ما كان
يعبد قومه من دون الله ، وطال الزمن وهو يغادهم للنصح ويرأوهم بالعظة
سراً وعلانية ومع ذلك فالقوم كتبت عليهم الشقاوة متمادين في غيهم متبعين
لكبرائهم الذين لا يزيد ونهم إلا خساراً حتى يئس من صلاحهم وعزموا
فيما بينهم ألا يذروا عبادة آلهتهم - ودّو سواع ويغوث ويعوق ونسر -
وجادلوا نبيهم وقالوا له عليه السلام إنك أكثرت الجدل وإنما إن نترك
ما نحن عليه فأتنا بالعذاب الذي تعدنا به ، إنهم استعجلوا العذاب لأنهم
سكروا في غيهم وضلالهم فتعسأ لهم وبعداً للقوم الظالمين . ولندع الكلام
عن القصة ونترك فصل الخطاب لكلام الله عز وجل حيث يقول في
سورة نوح :

« إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم . قال يا قوم إني لكم نذير مبين . أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعون . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون . قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً . فلم يزدهم دعائي إلا فراراً . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ، ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً . يرسل السماء عليكم مدراراً ويمدكم بأموال وبنين . ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً . ما لكم لا ترجون لله وقاراً . وقد خلقكم أطوراً . ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً . وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجاً . والله أنبتكم من الأرض نباتاً . ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً . والله جعل لكم الأرض بساطاً . لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً . قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خساراً . ومكروا مكراً كباراً . وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وديناً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً . وقد أضلوا كثيراً ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً » .

وحيثما نستعرض الآيات السابقة نجد نوحاً عليه السلام يرد على قومه بالرد الجميل ومجادلهم بالتي هي أحسن ويعظهم ويبين لهم البراهين حتى يشس من هدايتهم وجاهروا بالمعصية وطلبوا العذاب حينئذ أخبرهم نوح أن العذاب بيد الله فهو الذي أرسله لا بيده ونجد ذلك موضعاً في هود بالآيات (٣١ ، ٣٢ ، ٣٣) ولكن القوم عمي صم يستمرون في لجاجتهم وطغيانهم ومجادلتهم بالباطل ، فتارة يتعجبون كيف يكون الرسول بشراً - وتارة أخرى يستهجنون الذين اتبعوا الحق ويسخرون منهم وقد سلكوا في ذلك كل طريق معوج ومع ذلك يقف نبي الله بصدر رحب يدعوهم إلى الله ويوضح لهم البراهين ويورد لهم الآيات ويدعوهم إلى التفكير في الكون ووصانه حتى يشس من هدايتهم ومن نصرتهم للحق بعد أن دعاهم

خمسین وتسعمائة سنة أقامها فيهم يناصحهم ويعظهم وقد نص على ذلك القرآن وختم الأمر دعا على قومه بقوله : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً . إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) . ودعا دعوته تلك بعد أن أخبره الوحي أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن كما هو المعهود في سورة هود آية ٢٦ ، فيأمره الله بعمل الفلك لتكون وسيلة لنجاة الذين آمنوا معه من الغرق الذي أصاب القوم .

ولكن قوم سوء وقوم الضلال يمرون على نوح وهو يصنع السفينة فيسخرون منه ومن عمله ولعل أشد ما أثار سخريتهم منه أن علموا أنه يعمل تلك السفينة لينجو بها ومن معه من العذاب النازل بهم استبعاداً منهم لوقوعه فكان هو يسخر منهم ومن غفلتهم عن الحق وبلادتهم وكأني بهم في أنديتهم ومحافلهم يتغامزون ويتهافتون بما يصنع نوح ويلمزونه بالألقاب شأنهم في ذلك شأن كل شرير وكأنهم يستعجلون العذاب . وتلك طبيعة الأنفس الشريرة التي تنطوي على الباطل وتنفر من الحق . ولكن صدق الله وكذب المبطلون لقد فار التنور وحمل نبي الله في السفينة من كل زوجين اثنين . من كل حيوان وطير ووحش وأهله إلا زوجه وابنه — والذين آمنوا معه وما آمن معه إلا قليل ومكثت ما شاء الله أن تمكث فوق موج كالجبال تمخر عباب المياه حتى استقرت على جبل الجودي وهو جبل ذكر المؤرخون أنه جبل معروف بأرارات (١) بعد ما أمر الله الأرض أن تبتلع ماءها والسماء أن تطلع وحينما استوت السفينة على ذلك الجبل ذكر نوح ابنه وأدركته رحمة الأبوة وذكر فلذة كبده — وذكر وعد الله بنجاة أهله ودعا ربه بقوله :

(رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت احكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به

(١) ذكر ذلك صاحب كتاب قصص الأنبياء — عبد الوهاب النجار في قصة نوح — وغيره

من المؤرخين .

علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين . قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين (١)

وابن نوح هذا ذكر بعض المؤرخين أن اسمه كنعان فحينما رأى المياه ظنها كبعض السيول التي ما تلبث فترة وجيزة ثم تضمحل (٢) فذهب إلى جبل فناده والده عليه السلام أن اركب معنا فرد على والده أن سأوي إلى جبل يعصمني من الماء فرد عليه والده أن لا عاصم اليوم من أمر الله ولكن سبقت حكمة الله فكان من المغرقين . فحين نزول الآيات السابقة بأنه ليس لنوح عليه السلام الحق في طلب نجاة ولده استغفر الله عما بدر منه من سؤال ربه شيئاً لا يعلم حكمته إلا هو .

وهذه القصة بما فيها من عبر وأحداث وعظات تأتي مثالا للنوع الأول من أنواع القصص التي تحدث عنها القرآن وهي كثيرة جداً في القرآن يجد ذلك من تدبر القرآن ورزقه الله أحسن الفهم فنسأله الهداية والتوفيق .

(١) الآيات من سورة هود - ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) تضمحل - أو تزول .

من انواع القصص القرآني

قصص يتعلق بحوادث غابرة ووقائع حادثة في الزمن الماضي في العصور المختلفة قبل الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم وكذلك يتعلق هذا النوع بأشخاص لم تثبت نبوتهم كقصة أهل الكهف وذي القرنين وقصة الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وكذلك قارون وأصحاب السبت ومريم ابنة عمران وأصحاب الأخدود وأصحاب الفيل وابني آدم ، ونحو ذلك من الأشخاص الذين ورد ذكرهم وشيئاً من أفعالهم ولم يرد ما يثبت نبوتهم ولنورد مثلاً لنقتبس منه الحكمة إنها قصة يدمى لها القلب ويندى لها الجبين أنها أول جريمة وقعت على هذه البسيطة وأول انتصارات إبليس المدحور على هذه الأرض بعد إنزاله لقد حقق العين وعده بإغواء إبني آدم حيث حرض أحدهما على قتل أخيه أنها قصة ولدى آدم قابيل وهابيل . فلقد هبط آدم على هذه الأرض وليس معه غير زوجته وحين التوالد أمر الله آدم أن يزوج بين هذا البطن والبطن الآخر ، فلقد كتب الله أن تلد حواء كل ولادة ذكراً وأنثى ، فيأخذ كل رجل أخت الآخر التي ولدت معه ولقد ارتضى آدم هذا النظام كما ارتضته حواء وأبناؤهم الفتيان والفتيات هذا النظام ليتكاثروا من أجله وعن طريقته - كما ذكر ذلك كثير من المؤرخين -

ولكن العاطفة والغريزة حين تغلب على العقل . والشرح حين يتحدى الخير والشيطان حين يستولى على أفكار البشر . والعقوق حين يسبق الطاعة والنفس الأمانة بالسوء يحدث ما لم يكن بالحسبان . . كل هذا جعل معركة تدور

بين قابيل وهابيل من أولاد آدم ، فقابيل يتعلق بتوأمته الجميلة . ويضن بها على أخيه هابيل أن يتزوجها . ويرفض أن يتزوج توأمة هابيل الدميمة الصورة القبيحة التكوين . فهو يحب هذه ويكره تلك ضارباً بالنظام الذي ارتضاه مجتمعه وشرعه له ربه عرض الحائط غير مبال بقانون زوجته ولا غيره فلقد حاول أن يسد طريق الحق ويجيز لنفسه أن يشبع هواها ويصم أذنيه فلا يستمع لصوت العدل . وجرى بينه وبين أخيه معركة حب وثورة أثرة ونذير حرب ، وعند هذا احتار الأب الحنون بين ولديه قابيل وهابيل بين التمرد والطاعة وبين الحق والاعتصاب ، فاتجه آدم إلى ربه في حيرة وسأله أن يلهمه الصواب والهداية حتى يعيد الحق إلى نصابه . . فألهمه الله أن يوجه ولديه إلى الاحتكام لأمر الله وأن يتقربا إلى الله وأن يقدم قابيل قرباناً من زرعه ، وأن يقدم هابيل قرباناً من غنمه فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى . فقدم قابيل قربانه ليحصل على معشوقته وقدم هابيل قربانه ليتحرى إرادة الله ورضاه في قربانه . فتقبل الله قربان هابيل . ولم يتقبل قربان قابيل فكانت المعشوقة من حظ هابيل . وفاتت الفرصة على قابيل فازداد غيظه واشتد حنقه وملأت الكراهية قلبه وجنت شجرة الأخوة في صدره وطاش عقله وتملك إبليس زمامه ، وحرصه على أخيه وهم به أن يقتله — وحينما رأى أخوه الطيب الطاهر هابيل عزمه على قتله قال لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلني ما أنا بياسط يدي إليك لاقتلك . إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين .

فهابيل في حلمه وعقله يصبر على قابيل في جنونه وثورته وهابيل قوي متين يقدر على أن يقتله ويستطيع أن يبطش به ولكنه يخاف الله في أخيه ويُبقي عليه ويتوعده إن هو أقدم على قتله ، أن يتحمل ذنباً لا طاقة له على حملها ويتهدده ويخوفه أن يتردى في هاوية غضب أبيه والغضب في هذه الحالة محتمماً من آدم ، وغضب الأب من غضب الرب يقذف

العصاة بالنار وذلك جزاء من يطغى ويغتصب حق الآخرين . جزاء من يجتريء على نفس فيقتلها وعلى روح فيزهقها وعلى نعمة الحياة فيسلبها . ولكن في هذا الموقف نشاهد قوتين تصطرعان خير وشر . ووَإِيمَانٍ وَكُفْرٍ . وجننه ونار ، وميدان للحب الملتهب بعاطفته ، وللعقل المتأني المتزن - كل هذا في هذا الموقف وإبليس يغري ويمهد للجريمة ويصبح بالفتنة . . . وكان ما كان ، وقتل الأخ أخاه . وفرغ كل مخلوق لهذه الجريمة النكراء . وحزن الأب لنشوب الحرب بين بنيه وتمزق صدره من الأسى وأظلمت الدنيا في عينيه . ورقص إبليس وسجل أول انتصار له من هذا النوع فلقد أهرق دم وأزهقت روح . لم تكن بين عدوين . بل كانت بين أخوين .

وبعد أن قتل الأخ أخاه فتح عينيه فرأى دم أخيه الحار يفور ويسيل تحت قدميه .

وهنا وقع قابيل تحت تأنيب الضمير ، فلقد أدرك عاقبة جريمته حينما رأى أخاه طريحاً جريحاً مضرجاً بدمه فساخت به قدماه وخانته عيناه . فظفرت الدموع وزفر قابيل أناة الحشرات ، فماذا عساه أن يفعل بهذا الجسد الهامد أمامه .

وهنا ذهبت السكرة وخطرت الفكرة ، وتوارت الأثرة .

أبتركه ؟ وما تعود بتركه أخاه ؟

أيرميه في البحر ؟ ولا بحر

أيطعمه للسباع والنسور الجياع ؟

إنه موقف موحش رهيب . عذاب النفس وفحيح الندم وتأنيب الضمير وخوف العار وانتشار الفضيحة قتل أخ أخاه من أجل امرأة ومن أجل الغيرة وأخيراً احتمال جثته على ظهره ، ودار به حيران لا يدري ما المصير ؟ ومضى

نهاره مهموماً . وليله حزيناً سهران ، يعد نجوم هذا الكون ويقلب كفاً على كف ويتخيل أن ما حوله يؤنبه ويوبخه على هذه الجرأة اللثيمة والفعالة الشنيعة .

حتى ننت الحيفة على ظهره وخبثت على ظهره رأتحتها ، ونفذ الصبر وضاق الصدر وتعذر المخرج من هذا المأزق إلا عفو الله . ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى .

ولكن لكل بداية نهاية ولكل مطاف خاتمة . فلقد سبقت مشيئة الله أفكار البشر وانحلت أزمة هذا الآثم المسكين وانفجرت كربتته وذلك بأن بعث الله غرابين أسودين . يتنافسان على فريسة من خشاش الأرض فيتشاجران فيقتل أحدهما أخاه حتى إذا مات هدأت ثورة الغراب القاتل وأحس بجريمته فجثا على جثة أخيه يبكيه ثم حفر في الأرض فدفنه وواراه ، وأهال عليه التراب . ثم بلل القبر بدموعه ، ثم ودعه وطار حيث اختفى في الآفاق كل ذلك حدث بمراًى وبمسمع من قابيل حيث شهد هذا المشهد وهو واجم مطرق كأنما كانت سياتماً تلهب روحه وجسده . وهو لا يقوى على تأوّه أو صراخ . ثم انفجر يبكي بعينه ويلطم خديه ويجثو على ركبتيه ويقول : يا ويلتا ، أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين (١) .

إنها قصة تحكي صورة لأبشع جريمة وقعت على وجه هذه المعمورة حيث تلوثت بدم سفح وهو طاهر ، سفحته يد أئيمة ظالمة لنفسها متبعة لهاها .

فهاهو القرآن يحدثنا بهذه الآيات الكريمة عن تلك الجريمة النكراء حيث يقول في سورة المائدة (٢) :

(١) القصة من كتاب قصص من القرآن لمحمود زهران (بتصرف) .

(٢) المائدة آية ٢٧ إلى آية ٣٢ .

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . . . لأن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين . من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساداً في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون .

حقاً إن بني إسرائيل لمسرفون فصدق الله العظيم إنه كتاب الله الخالد وحكمه القويم الذي هو عماد الحياة وأساس العدالة فلا يمكن أن تعيش المجتمعات العيشة الراضية المهنيئة الآمنة المطمئنة إلا بعد تطبيقه والعمل بموجبه ولكن الحضارة الزائفة تمهد لأبليس لتنفيذ وعده فيزين الباطل ويزدري الحق ويغوي البشر فيعرضون عن كتاب الله الذي نزل من عند المولى جل وعلا فهو كلامه في كتابه أنزله على عباده ليكون لهم دستوراً يحكمون إليه ويرجعون إليه في شئونهم كافة .

ولكن القوم غلبت عليهم الشقوة فأعملوا القوانين الوضعية التي وضعها البشر ذوو الطرف القاصر والفكر الخائر لقد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم لقد أراهم المنكر معروفاً والمعروف منكراً والحق باطلاً والباطل حقاً (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً) ، وأخالي أطلت وأطنبت في هذه القصة ولكن خلاصة القول أن هذه القصة لا يستطيع لسان أن يتكلم حولها ولا بنان أن يكتب جملها وعباراتها ولكن هي قصة عظيمة الفوائد جملة الحكم والعظات وكفى .

النوع الثالث من أنواع القصص في القرآن :

وهو قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، كالإسراء والمعراج والهجرة وغزوة بدر وغزوة أحد وغزوة حنين وقصة الإفك والثلاثة الذين خلفوا ، وغير ذلك من القصص التي وقعت في زمنه صلى الله عليه وسلم والقرآن كثيراً ما يذكر تلك الأحداث فلقد أخبر عن بعضها في سورة آل عمران وفي سورة التوبة وفي سورة الأحزاب وغيرهن من السور وكنموذج لهذا النوع نسوق قصة لا كالقصص أنها غزوة بدر الكبرى . لقد وقعت هذه الغزوة في السابع عشر من غرة شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم . فتلك الغزوة تعتبر يوماً له ما بعده فهي أكرم المشاهد وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وجنده وقمع شوكة الشرك وأهله هذا مع قلة عدد المسلمين وقلة عددِهم وكثرة العدو وكثرة عدده وشدة بأسه ، فلقد كان المشركون يتسلحون بسوابغ الحديد ويمتطون الجياد المسومة التي تبلغ مائة فرس وكذلك سبعمائة بعير وألف رجل من صنديد قريش وأشرفهم بينما المسلمون لا يبلغون إلا ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ومعهم سبعون بعيراً وفرسان أحدهما للمقداد والآخر للزبير ابن العوام ، إنه نصر الله يؤتیه من يشاء إنها القوة المعنوية والنجدة الإلهية . فلنسمع إلى قوله تعالى في سورة آل عمران (١) :

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله إلا بشري لكم ولتطمئن قلوبكم به

(١) الآيات من ٢٢ إلى ١٢٦ من سورة آل عمران .

وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم . ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم
فينقلبوا خائبين » .

هذه الآية الكريمة نور ساطع وصارم قاطع وفرقان عظيم ، فتبدأ قصة
تلك الموقعة بقدم غير من الشام لقريش بقيادة أبي سفيان وفيها أموال عظيمة
لقريش فندب الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى غير قريش وأخبرهم
بكثرة المال وقلة العدو وقال ما معناه هذه غير قريش فيها أموال فاخرجوا
إليها لعل الله أن ينفلكموها . فخرج بعض الناس وثقل بعضهم وذلك أن
الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يظنون أن الرسول صلى الله عليه وسلم
لن يواجه حرباً . وحينما علم أبو سفيان بخروج المسلمين استأجر ضمضم
بن عمر الغفاري ليذهب إلى مكة المكرمة فيخبر قريشاً لينفروا لحماية
غيرهم فذهب ضمضم إلى مكة ووقف على أحد جبالها وصاح : اللطيمة .
اللطيمة . . العار . العار .

فسارع إليه رؤساء قريش لينشدوه الخبر فأخبرهم بما هم به المسلمون
فنهضوا مسرعين وما تخلف من أشرفهم وصناديدهم أحد إلا أبو لهب ،
فقد بعث العاص بن هشام بن المغيرة مكانه وحشدوا من حولهم من العرب
ولم يتخلف من بطون قريش سوى عدي بن كعب فخرجوا وخرج الرسول
فيمن خف معه من الصحابة ثم رد الرسول صلى الله عليه وسلم أبا لبابة من
من الروحاء وخلفه على المدينة وأمر عمرو بن أم كلثوم أن يصلي بالناس
ودفع النبي صلى الله عليه وسلم اللواء إلى مصعب بن عمير وكان أمام الرسول
صلى الله عليه وسلم رايتان إحداهما مع علي رضي الله عنه والأخرى مع
أحد الأنصار وفي أثناء مسيرة الرسول بلغه خبر قريش وما عزمت عليه
فجمع أصحابه ثم استشارهم في الأمر وكل قال كلاماً حسناً مما فتح الله عليه
به ثم قام المقداد بن الأسود فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك
والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : إذهب أنت وربك فقاتلا إنا
هاهنا قاعدون ، ولكن نقول إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون

فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : خيراً ودعا له بخير ، ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم : أشيروا عليّ أيها الناس ، وإنما يريد الأنصار . . . وكان رسول يخاف من أن الأنصار ليس لهم رغبة في القتال إلا من داهمهم بالمدينة . فلما سمع سعد بن معاذ كلام الرسول قال والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل فقال له قد آمانا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا وموآثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك فسر على بركة الله .

فسر الرسول صلى الله عليه وسلم بكلام سعد ونشطه ذلك على القتال لأن الأنصار هم سواد الجيش ولأن المعاهدة المعقودة بينه وبينهم في العقبة كانت دفاعية وعند سماع الرسول (ص) كلام الأنصار قال : سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل الرسول (ص) فتزل قريباً من بدر فركب هو ورجل من أصحابه — قال بن هشام هو أبو بكر الصديق — حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغهم عنهم . فقال لا أخبركما حتى تخبراني من انتما فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا أخبرتنا أخبرناك فقال الرجل أو ذاك بذاك قال نعم . قال فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا (المكان الذي فيه الرسول وأصحابه) وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا (المكان الذي به قريش) فلما فرغ من خبره قال ممن أنتما قال له الرسول نحن من

ماء ثم انصرفا عنه وهو يقول من ماء؟ أمن ماء العراق؟ فلما أمسى الرسول (ص) بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص - في نفر من أصحابه - إلى ماء بدر يلتمسون الخبر فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض بن يسار غلام بن العاص . فأتوا بهما فسألوهما لمن أنتما والرسول (صلى الله عليه وسلم) يصلى . فقالا نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما حتى إذا ألقوهما قالنا نحن لأبي سفيان فتركوهما . وركع الرسول (ص) وسجد سجديته ثم سلم وقال إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش ، أخبراني عن قريش؟ قالوا : هم وراء هذا الكتيب الذي يرى بالعدوة القصوى ، فقال لهما رسول الله (ص) كم القوم؟ فقالا كثيرون ، قال ما عددهم؟ قالوا : لاندري ، قال : كم تنحرون كل يوم؟ قالوا يوماً تسعاً ويوماً عشراً قال رسول الله (ص) القوم بين التسعمائة والألف ثم قال لهما : فمن فيهم من أشرف قريش؟ قالوا عتبة بن أبي ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختری بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، ونيبه ونبه أبنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمر بن عبدود ، فأقبل الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس وقال : هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها .

أما أبو سفيان فلقد خفض ولحق بساحل البحر فلما رأى أنه قد نجا وأحرز العير كتب إلى قريش أن ارجعوا فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم ، فأتاهم الخبر وهم بالالحفة فهموا بالرجوع فقال أبو جهل (. . . والله لا نرجع حتى ننحر الجزور ونشرب الحُمور وتعزف فوق رؤوسنا القينات وتحدث بنا العرب ويهابنا الناس سائر الأيام) لقد صدق قبحه الله بقوله تحدث بنا العرب ولكن بماذا تحدثوا...؟ لقد تحدثوا بمصارع قوى الطغيان وبغز الإسلام وأهله وبخذلان الباطل وأهله .

غير أن الأحنس بن شريق أشار عليهم بالرجوع ولم يأخذ برأي أبي جهل فعصوه فرجع وبني زهرة فلم يشهد بدرأً زهرياً فاعتبطت بنو زهرة بعد برأي الأحنس فلم يزل فيهم مطاعاً معظماً . وأرادت بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل فقال لا تفرقوا هذه العصاة حتى نرجع .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقد ساروا حتى نزلوا على أدني ماء من مياه بدر ، وسبق قريشاً إلى بدر ، ومنع قريشاً من سبق إليه مطر عظيم أرسله الله مما يليهم ولم يصب منه المسلمون إلا ما لبّد لهم دهس الوادي وأعانهم على السير . وحينما رأى الحباب بن المنذر بن عمر بن الجموح منزل رسول الله قال له أرأيت هذا المنزل منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هي المكيدة والحرب ؟ فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) بل هو الرأي والمكيدة والحرب . فقال الحباب يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ونغور ما وراءه من القلب . ثم نبني عليه حوضاً فتملأه فنشرب ولا يشربون ، فاستحسن الرسول (ص) كلامه ورأيه وعمل به .

وقال سعد بن عبادة : يا رسول الله ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أظهرنا الله وأعزنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الثانية جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا بني الله ما نحن بأشد لك حباً منهم . ولو ظنوا أن نلقى حرباً ما تخلفوا عنك يمينك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك .

فأثنى عليه رسول الله خيراً ودعا له بخير ثم نبى لرسول الله عريشاً فكان فيه ومشى رسول الله (ص) على موضع الوقعة ، فعرض على أصحابه مصارع القوم الكفرة من قريش مصرعاً مصرعاً . يقول هذا مصرع فلان إن شاء الله هذا مصرع فلان إن شاء الله .

قال عمر : فوالذي بعثه بالحق نبياً ما عدا واحد منهم مضجعه الذي حده رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه مسلم في صحيحه .

قال بن اسحاق : وقد ارتحلت قريش حين أصبحت فأقبلت فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال . اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلاًها وفخرها تجادلك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم مزقهم .

فخرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه وابنه الوليد بن عتبة حتى فصلوا عن الصف فخرج إليهم فتية من الأنصار وهم عوف ومعوذ أبناء الحارث وعبدالله بن رواحة فقالوا من أنتم قالوا : رهط من الأنصار قالوا مالنا بكم من حاجة ثم نادى منادهم يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا عبدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : من أنتم قال عبده : عبده ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي . فقالوا أكفأ كرام كرام فتبارز عبدة وعتبة ابن ربيعة وبارز حمزة شيبه ، وبارز عليّ الوليد ، فقتل حمزة شيبه وقتل عليّ الوليد وأختلف عبدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه ففكر حمزة وعليّ على عتبة بأسيا فهما وقتلاه وحملا صاحبهما إلى أصحابه فمات بالصفراء فتراحف الناس ودنا بعضهم من بعض وقد أمر الرسول أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم وقال إذ كتبوكم - يعني أكثر وكم - فأرموهم واستبقوا نبلكم . وعدل الرسول (ص) الصفوف ودخل العريش ودخل معه أبو بكر الصديق وليس معه غيره وأخذ يناشد ربه ويقول فيما يقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد . فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله يكفئك بعض مناشدتك فإن الله منجزك ما وعدك . وفي الصحيح أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما كان يوم بدر في العريش ومعه أبو بكر أخذته سنة من النوم ثم استيقظ مبتسماً فقال : أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثناياه النقع ، ثم خرج من باب العريش وهو يتلو (سيهزم الجمع ويولون الدبر) .

وفي رواية إنه مازال يهتف بربه حتى سقط رداؤه عن منكبه فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله ،

كفاك مناشدتك ربك سينجز لك ما وعدك فأنزل الله تعالى : « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فأمد الله بالملائكة حتى أن بعض المشركين رأى الملائكة ومعهم الرماح وهم على الجياد ، رأى العين وهم يطعنون المشركين إنه نصر الله فمن ينصره الله فلا غالب له فقتل المسلمون يومئذ سبعين من المشركين وأسروا سبعين ورُمي مهجع مولى عمر بن الخطاب بسهم فكان أول قتيل من المسلمين ثم رُمي حارثة بن سراقة أحد بني النجار بسهم فكان أول قتيل من الأنصار فاستمرت الحرب بين المسلمين والمشركين سجالات والرسول (صلى الله عليه وسلم) يجرى الناس على القتال ويقول : (والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة) .

فقال عمير بن الحمام أخو بني سلمة وفي يده تمرات يأكلهن : بخ . بخ . فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل (١) .

وفي هذه الواقعة قتل أبو جهل وأسر أمية بن خلف وابنه وكثير من رؤساء الشرك وبعد انتهاء الواقعة أقبل الرسول صلى الله عليه وسلم على القوم وهم صرعى قد لاقوا حتفهم فقال : (بثس عشرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وخذلتموني ونصرني الناس وأخرجتموني وآواني الناس) .

وفي الصحيح عن أبي طلحة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صنديد قريش فخذفوا في قلب بيدر ثم قسم الرسول (ص) الغنائم وأرسل بشائر النصر . واتجه إلى المدينة ومعهم الأسرى وقتل منهم في الطريق من قتل فاستشار أصحابه في الأسرى فمنهم من رأى قتلهم ومنهم من رأى إحراقهم وهو عبد الله بن رواحة ، ومنهم من رأى

(١) السيرة النبوية لابن هشام . ومختصر السيرة لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠٢

بتصرف ومختصر السيرة لمحمد بن عبد الوهاب .

الفداء . وأنزل الله قوله تعالى : (ما كان لني أن يكون له أسرى حتى
يثخن في الأرض) فمن الرسول على بعضهم وفادى بعضهم قال بن اسحاق :
فلما انقضى أمر بدر — أنزل الله فيها سورة الأنفال بأسرها .

ولدى استعراضنا لأحداث بدر نرى العجب العجاب حيث نرى الأقلية
المسلمة المسلحة بسلاح الإيمان تتصدى لحافل الشرك ورؤوس الفتن فلقد
قابلوا أولي بأس وقوة ومادة ومدد ولكن : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت
أقدامكم) . فهذه سنة الله في خلقه فمنذ وجدت البشرية والحق والباطل في
صراع يمر بهما أطوار تكون الغلبة للحق ، في النهاية « وقل جاء الحق وزهق
الباطل إن الباطل كان زهوقاً »

حقاً لقد زهق الباطل وانقمعت شوكة الشرك وسطع نور الحق وأشرقت
الأرض بالعدالة وحق لها أن تشرق ففي هذه الغزوة الكبرى غزوة الفرقان
غزوة الفصل بين الحق والباطل ، بها ظهرت العظمة الإلهية وأشرقت
بها شمس الإسلام وأنطفأت شمعة الشرك وأفلت شمسه إلى المغيب ، وهذه
هي نهاية كل زيف وباطل لا يعتمد على حق بل هو يعيش على السراب ويتعلق
بأسباب أوهى من خيط العنكبوت . وما أخال أحدا يغالط أو ينكر فوائد
هذه القصص العظيمة التي تعتبر نموذجاً للبشرية السابقة ورمزاً للإنسانية
اللاحقة .

فإلى هذه الفوائد . . . في الفصل الآتي . . .

فوائد القصص في القرآن

الكل يعلم أن للقصص في القرآن فوائد جمة لا يحصيها فؤاد ولا يستطيع أن يسطرها قلم ولا يستوعبها قرطاس . ففي القصص القرآني النور والحكمة والعظة والعبرة (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » (١) .

كيف لا . وهي قصص تحكي الواقع وتصور مجتمعات الطاعة ومجتمعات العصيان ، وكيف كان مصير هؤلاء وما كان مصير أولئك فمنهم من كان في عليين ومنهم من كان مستقره دار البوار وبئس القرار . فهي كلام رب العالمين أنزله على نبيه الأمين . وليست معتمدة على الخيال والأساطير فهي لم تأت في القرآن عبثاً ولا لتسلية وترويح عن النفس مما تجد من عنا وتعب وإنما أتت لأهداف سامية وأخلاق رفيعة ذات مغزى إعجازي باهر . فالقرآن بهذه القصص قد تحدى بلغاء العرب أهل العربية الفصيحة ملوك البيان وأصحاب زمام البلاغة . وقد صرح القرآن بالمغزى الذي سيقته من أجله القصص فقال جل شأنه : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » (٢) .

وقال : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب » .

فمن المسلم به أن كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يدرك الهدف الذي سيقته من أجله القصص القرآنية ويحسن بنا أن نذكر أهم فوائد القصص القرآني وأبرزها فيما يأتي :

(١) الآية ١١١ من سورة يوسف .

(٢) آية ١٢٠ من سورة هود .

١ - بيان طريقة الدعوة إلى الله وأصول الشرائع التي بعث بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فأعبدون » .

٢ - تصديق الرسول (صلى الله عليه وسلم) وإثبات الوحي والرسالة فالرسول (ص) كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا عرف عنه أنه يرتاد مجالس الأحرار والرهبان بل كان المعهود عنه الانعزال والخلوة بربه فما دام هذا هو المعروف عنه (ص) فأنى له هذه القصص الواقعة التي لا ينكرها أهل الكتاب . إنها قصص نزل بها جبريل عليه السلام على المصطفى (عليه الصلاة والسلام) فلقد ورد في سورة يوسف عليه السلام : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » . وجاء في سورة آل عمران : « ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك » . وفي سورة هود بعد قصة نوح : « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا » .

فكل قصة في القرآن تثبت صدق الرسول (ص) بما أخبر به عن الماضين عبر القرون والأجيال .

٣ - تثبت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه حينما يرى ما جرى للأنبياء السابقين مع أممهم وكيف لا قوا الصعاب وتجاوزوا العقبات وكيف رُدَّت دعواتهم وقوبلت بالكذب والأذى والسخرية فبذلك يقوى عزم الرسول صلى الله عليه وسلم ويشتد ساعده للصدع بالدعوة إلى الله تعالى « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين » .

وقال تعالى : « ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبي المرسلين » (١) .

(١) آية ٣٤ من سورة الأنعام .

وفي قصص القرآن تثبيت لقلوب الأمة المحمدية قاطبة وتقوية لغزائمهم
وتجديد ثقتهم بنصر الله .

٤ - كذلك تفيد القصص . صدق الأنبياء السابقين ونخيل ذكراهم
على مر العصور والأجيال لتكون عبرة لأولي الألباب . فإن المؤمن عند ما يقرأ
قصص القرآن . فكأنه يعيش في ذلك الجو الذي عاش فيه أولئك الأنبياء ففي
تبعه لأحداث القصة يشعر بالوازع الديني وقد اجتذبه ذلك المجتمع الروحاني
المتصل بالله حقيقة الاتصال فالمرء بقراءته تلك الأحداث يرى أنه مضطر
للتصديق بإيمان الأنبياء السابقين وإخلاصهم لله وأنهم لا تأخذهم في الله لومة
لائم .

٥ - بيان أن الدين كله من عند الله من عهد نوح إلى عهد محمد صلى
الله عليه وسلم تَعَبَّدَ الله به الأمم كافة لا يشركون به شيئاً ، وأن المؤمنين
كلهم أمة واحدة والله الواحد رب الجميع « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا
ربكم فاعبدون » . وهذا هو الغرض السامي الذي من أجله أرسلت
الرسل وسيقت القصص ألا وهو عبادة الله وحده لا شريك له الواحد
القهار .

٦ - وتفيد القصص أن الأنبياء عليهم السلام يدعون إلى دين موحد
الأساس متحد العقيدة . ونشاهد هذا ونلمسه حين استعراضنا لدعوة الأنبياء
فينجدهم ينادون لهدف واحد فلنسمع إلى قوله تعالى :

« ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره »
وقال « وإلى عاد أخاهم هوداً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » .
وقال « وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال : يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله
غيره » .

وقال « وإلى مدين أخاهم شعيباً قال : يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله
غيره » .

فهذا التوحيد لأساس العقيدة ترد فيه قصص الأنبياء مجمعة لتحقيق ذلك الغرض الخاص .

٧ - ومن الفوائد أيضاً التي يستفيد منها من وعى ما يقرأ من قصص القرآن الكريم إن الله أنعم على أنبيائه وأصفياه كقصص سليمان وداود وأيوب ومريم ونوح وعيسى وزكريا ويونس وهوسى عليهم السلام الصلاة . فكانت قصصهم تذكراً نعمه الله عليهم فهي الغرض المقصود .

٨ - وعند تصفح كتاب الله وتدبر معانيه ومتابعة قصصه نجد قصص القرآن تحذر بن آدم من غواية الشيطان . فتارة بالتحذير وتارة بالتلميح والآيات حافلة بذلك التحذير العظيم والترجيح المستقيم لابن آدم وتبين العداوة المتأصلة بين بني آدم وبين الشيطان منذ طور الإنسان الأول ومنذ خلق آدم . فإيراد هذا التحذير عن طريق القصة أروع وأبلغ من أي سياق آخر وغالباً ما يكون هذا التوجيه العظيم مقروناً بمثال فهذا التحذير دائماً تجده بين ثنايا القصة أو بآخرها بعد سردها لبيان من أطاع الشيطان ومن عصاه فيكون أوعى للتحذير الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر : « إن النفس لأمارة بالسوء » . « قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . لإعبادك منهم المخلصين » (١) . وقال : « لئن أخرجتني إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلاً » (٢) .

٩ - قدرة الله على الخوارق فالله جل شأنه إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون فهو قادر على كل شيء . فعال لما يريد ، والقرآن قد ساق قصص كثير من الخوارق فلنبدأ مثلاً بخلق أبي البشرية آدم عليه السلام فإنه خلق من طين لازب بلا أم ولا أب ولقد ذكرت قصة خلقه من الطين مرات كثيرة في القرآن الكريم . وكذلك قصة مولد عيسى عليه السلام من أم بلا أب . وقصة إبراهيم وإحياء الله الطير حينما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ،

(١) سورة ص آية ٨٢ ، ٨٣ .

(٢) الإسراء آية ٦٢ .

وكيف جعل على كل جبل جزءاً من الطير فدعاهن فأتينه سعيّاً . وقصة (الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها) وكيف أحياه الله بعد موته مائة عام . وغير ذلك من القصص الواردة في القرآن الكريم .

١٠ - عاقبة الطيبة والصلاح وعاقبة الشر والفساد . فالقرآن في قصصه يهدف إلى هذا الغرض فهذا الغرض جامع بين الترغيب والترهيب فهو يسعى إلى إصلاح البشرية جمعاء وإلى تحقيق سعادة البشر والمجتمعات بأسرها وحياة الأمم حياة آمنة مطمئنة مستقرة آخذة بالعظة والعبرة من الأمم السابقة . فالكتب السماوية تنطق بذلك وبالأحداث الماضية وبآيات الله العجيبة الباهرة . ولديّ الآن قصص تثبت ذلك كقصة إبن آدم ، وقصة صاحب الجنتين ، وقصة سد مأرب وقصص بني إسرائيل بعد عصيانهم وقصة أصحاب الأخدود .

وخلاصة التوجيه والفائدة من القصص في القرآن يجمعها قوله تعالى :
« وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكري للمؤمنين » .

١١ - كما تفيد القصص القرآنية . قصور العقول البشرية بجانب الحكمة الإلهية ، فالله جل شأنه يعلم ما كان وما يكون ويعلم ما في الأرحام فالعقل البشري قاصر المدى فهو في قصوره محدود في تصرفه أيضاً . ومن هذا قصة موسى مع العبد الصالح وهو كما أخبرنا الله عنه « عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً » (١) . فموسى عليه السلام يتصرف بعقله البشري الذي منحه الله فيه يفسّر ما حوله من الحوادث بينما هذا العبد الصالح فوق العقل البشري كله فقد أوتي من العلم ما لم يؤت موسى ولا غيره من البشر وحسبنا بقصته كافياً ودليلاً . فتلك الأحداث التي جرت أثناء اصطحاب موسى للعبد الصالح هي البرهان القاطع . فقصة قتل الغلام ،

(١) الكهف ٦٥ .

وقصة خرق السفينة وبناء الجدار في القرية التي اتصف أهلها بالبخل .
فوق إدراك موسى وغيره من البشر وليس بملوم في اعتراضه على العبدالصالح
لأنه نفذ صبره المحدود ولم يقنع موسى عليه السلام . إلا بعد ما فسر له
العبدالصالح ما جرى وحق لموسى أن لا يقنع لأنه لم يعتد ذلك التصرف
المجهول فعند التعليل قنع موسى . ولكن حدث الفراق . لأنه لا يتم
الانسجام بين الشخصيتين (موسى والعبد الصالح) ، وخصوصاً في تصرفات
العبد الصالح التي لا يدرك موسى تفسيرها ولا كنهها . إنه قصور العقول
البشرية عن حكمة الله سبحانه فجعل من إله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

١٢ - وكثيراً ما تفيد القصص في القرآن الكريم مقارعة أهل الكتاب
بالحجة والبرهان ونشر خزيمهم وكتمانهم للحق وبيان وجود ما كتموه في
كتبهم ، فكتبهم تنطق بذلك ولكن اليد العابثة السليطة تأبى إلا أن تعتدي
على كلام الله فتحرف الكلم عن مواضعه فيأراد ما هو موجود في كتبهم
قبل التحريف أبلغ في الإفحام وألجم للخصم فالقرآن دائماً يتحداهم
بما هو موجود بكتبهم :

« كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من
أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين » (١) .

١٣ - والقصص القرآني يقرأه المسلم فتشاق إليه نفسه ويتمتع
بمتابعة أحداثه وما يورده من قصص ويجد ما يشجعه على ذلك وهو التعب
بتلاوة القرآن . أحكامه وقصصه وأخباره . والنفس بطبيعتها مجبولة على حب
القصص فحسبك بقصص القرآن الذي يعتمد على الحقيقة إعتماً كلياً .
فالؤمن بقرارة نفسه وبلسان مقاله يؤمن إيماناً تاماً حقيقياً صادقاً بأن
ما جرى في القصة من أحداث واقعة لا مجال للشك في ذلك فهو كلام

(١) آية ٩٣ من سورة آل عمران .

رب العالمين . فما دام أن المسلم يعتقد ذلك فهو يجد في قصص القرآن بغيته وما يتمنى . فقصص القرآن يصغي إليه السمع وترسخ عبره في النفس ويرتاح المرء لقراءتها لأنها تحكي الواقع الذي مضى فهي من صميم الواقع لا تخرج عنه قيد أنملة « نحن نقص عليك نبأهم بالحق » (١) . وأي حق أعظم من كلام الله وأي كلام أصدق من كلامه تعالى إنه الحق وقوله الحق . فالقصص التي وردت في القرآن الكريم تحمل من العبر والفوائد والعظات ما لا تحصى عدداً ولا يستطيع أن يدونها يراع فهي نزلت من لدن حكيم خبير لا تخفى عليه خافية يعلم دبيب النمل في الليل البهيم فجعل من إله أنزل الكتاب على عبده ليكون بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً . لقد جمع فأوعى وأوجز فأعجز . . وأطنب فتحدى ملوك البلاغة وذوي السحر من البيان من العرب الخالص .

(١) آية ١٣ من سورة الكهف .

تكرار القصة الواحدة وما في ذلك من حكمة

ترد كثير من القصص في القرآن عدة مرات وبأساليب مختلفة ، فتجد القصة الواحدة تعرض تارة هنا بإسهاب ، وهناك بإيجاز ، ولكن كل إنسان يرزقه الله الذوق السليم يدرك أن القصة في هذا الموضوع غيرها في ذلك . فقد تكون أبرزت في هذا الموقف ما لم يبرز في المواضيع السابقة فهي لم تتكرر لمجرد العبث ولا لزيادة كلام لا طائل تحته ، بل هو تنزيل من حكيم خبير وكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ولكن الذي يندى له الجبين وتوتر من أجله الأعصاب هو أن هناك فئة تاهت في متهاتات الضلال وفي غياهب الجهل المطبق بحقائق القرآن فأطلقت لألستها العنان لتلوك آيات الله بلا خوف ولا خجل ومع الأسف يظنون أنهم يحسنون صنعاً تعسوا وما صنعوا . ما صنعوا إلا باطلاً وزوراً ، فلقد عاشوا فساداً وشوهوا كلام الله أما علم أولئك أنه من عند الله أنزل ، وأنه جلت عظمته قد حفظه . . . « وإنا له لحافظون » . . . فهذه الفئة التي تنكبت الصراط السوي وسلكت الطرق المتشعبة المعوجة ، وما أكثر أولئك المعتدون وهم بلا شك قسمان :

١ — فالقسم الأول يعتدي على كلام الله ظلاماً وعدواناً ويعلم أنه يعتدي قاتله الله .

٢ — والقسم الآخر انزلق تحت ستار الفن ويحسب أنه يحسن صنعاً . وهذه الفئة قد تكون ضحية لتقليد أعمى فهم يقرأون للمستشرقين وأفراخهم ويتأثرون بما يقرأون فهم يقعون في شرك الإلحاد والزيف والضلال

من حيث لا يشعرون . فهؤلاء هم الأدهى والأمرّ على القرآن وعلى المسلمين وأبناء المسلمين ، لأنهم أبناء جلدتهم ومن العلماء المنتسبين إلى الإسلام . فيتبعهم سذج الناس والمغفلون ويروج لهم ذلك غفلة الرقيب في خضم هذه الحضارة المتلاطمة الزائفة التي جرّت الويلات للدول الإسلامية . ولكن لن يعدم الحق ناصرًا . ومن أولئك الذين أساءوا إلى القرآن تحت ستار الإحسان الدكتور محمد أحمد خلف الله في كتابه « الفن القصصي في القرآن الكريم » ، وقد قدم هذا الكتاب ليكون أطروحة له لرسالة الدكتوراة - ولقد قدم لهذه الرسالة أمين الحولي فأطلق لقلمه العنان ، فأخذ يجوب الكلام عرضاً وطولاً مديحاً وإطراء لتلك الرسالة المسعورة التي تحمل بين طياتها السموم ، تلك الرسالة التي قدمت لنيل الدكتوراه - كما قلت - فدار حولها الجدل فمن مؤيد لها ومن ناقد . والرسالة قد بلغت من الخطورة شأنًا وسأيرت آراء المستشرقين جنباً إلى جنب في كثير من بحوثها وبالأخص ناحية تكرار القصة والناحية الفنية . ومبحث التكرار هو الذي نحن بصدده الآن ، أما الناحية الفنية فلنا معها لقاء بعد قليل إن شاء الله ولا أحب الإطالة في ذلك فلنا وقفة على جوانب الرسالة الفنية التي غيرت وجه البحث عن حقيقته .

والجدير بالذكر أن الرسالة قد نالتها الأقلام نظراً لخطورتها ومن الذين تناولوا مناقشة جوانب الرسالة المشبوهة الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه : (القصص القرآني في منظوقه ومفهومه) ولقد أجاد وأفاد حيث درس جوانب الضعف والقوة في الرسالة وناقش كثيراً من آرائها مناقشة دقيقة ، وقد أفرد لذلك باباً خاصاً في كتابه السالف الذكر فتعرض أولاً للرد على أمين الحولي الذي قدم للرسالة وعند انتهائه من الرد على المقدمة ومقدمتها بدأ في المناقشة . فأوماً إلى النواحي المنحرفة في الرسالة بنقد هادف وبحث نزيه أو في الموضوع حقه ومن الذين تصدوا للرسالة الأستاذ أحمد أمين فلقد بعث تقريراً مطولاً وافيّاً إلى عميد كلية الآداب يحذر من الرسالة المذكورة ويبين إعوجاج منهجها وقد وصفها بأنها رسالة

خطيرة وأورد ما يثبت كلامه حيث أورد شواهد منتزعة من الرسالة تثبت دعواه على صاحب الرسالة وحقاً له أن يتحمس فالأمر له أبعاد سيئة ونتائج قبيحة .

وكذلك أشار الأستاذ مناع القطان إلى تلك الرسالة في كتابه « مباحث في علوم القرآن » تحت عنوان القصة في القرآن حقيقة لا خيال فأبان بإيجاز إنحراف الرسالة ، وبين خلاصة رد الأستاذ أحمد أمين على الرسالة المتقدمة وقبل أن أنتهي من عرض أسماء بعض من تطرقوا لنقد الرسالة أحب أن أشير أن الأستاذ توفيق الحكيم قد تطرق إلى ذلك وهاجم أمين الخولي بنقد لاذع .

أما الأستاذ محمد الغزالي فقد رد على طه حسين لأن له رأياً مشابهاً لرأي خلف الله ثم عطف على ذلك ذكر الرسالة ولم يطل في ذلك لأن الرسالة لم تنتشر وإنما خرج مضمونها في الصحف في وقته حيث قال في كتابه (١) : « نظرات في القرآن » ما نصه (وهذا الكاتب الجديد صاحب رسالة القصص الفني في القرآن التي لم تظهر للناس بعد وإنما ظهر منها طرف تناولته الصحف نحا هذا النحو ولكن في واد أدبي متصل بالتاريخ أه .

وخلاصة القول أن من قال إن في القصص القرآني تكرار فقد حاد عن الصواب وغاص في لجج مدهمة ظلماء من بحار الجهل المهلك . ولقد سلب ذوقه السليم وإدراكه العقلي . أما علم ذلك المعتدي على كتاب الله أن قريشاً قد أعيتها الحيل ولم تجد مدخلا على كلام الله ؟ أما علم من تسول له نفسه ذلك أن قريشاً هم فصحاء العرب وأرباب البيان والعرب الخالص فهم العرب وإليهم العربية الفصحى تنسب وقد التمسوا كل طريق لرد القرآن وحاولوا شتى المحاولات . ولو وجدوا زوراً لقالوه فما دام هذا

(١) نظرات في القرآن ص ١٢٣ الطبعة الثانية .

واقع العرب الخالص فكيف يتجرأ أعجمي أن يطعن في أساليب القرآن . إن عصرنا اليوم هو عصر الأعجمية حيث ضعف سلطان العربية الفصحى وإن كثرت الكتب والصحف والمجلات .

ولكن كيف لم يردع تلك الفئة الحياء بالإتيان بالقول بما لم يأت به أرباب اللغة الفصحى . ولكننا نقول نحن مهلايا من أطلق لقلمه العنان وأخذ يقتطف كل شاردة وكل واردة من خواطره وما يجيش ب صدره . فالقرآن قد تحدى قريشاً بما حسبتموه تكراراً وما هو بتكرار . فالقصة التي ترد في هذا الموضوع ، لا ترد نفسها في الموضوع الآخر ، وإنما ترد لمعنى آخر فإن القصة في كل موضع تبرز جانباً من جوانب الحادثة وعند قراءتك للقصة في أساليبها المتعددة تجد أنك قد خرجت بنتيجة واضحة وفهمت جميع جوانب القصة وأطرافها فقراءتها عدة مرات كما عرّضت يعطي صورة واضحة للحدث فهي يكمل بعضها بعضاً ، فمثلاً قصة موسى قد وردت في القرآن فيما يقارب ثلاثين موضعاً ، وكل عرض لا يتناول القصة كلها وإنما يعرض منها القدر المناسب ، وقد يكرر بعض حلقاتها للعبارة ويكون ذلك بإشارة سريعة ولمناسبة خاصة في السياق أما جسم القصة فلم يكرر إلا نادراً ولمناسبة خاصة في السياق ولنضرب على هذا مثلاً للقصة المتكررة قصة موسى التي ذكرت آنفاً وهي أكثر القصص تكراراً فبعض السور تشير إليها إشارة ، وبعضها توجز والبعض يطنب ويمزج بتلك الأساليب العظمت والتوجيه والعبارة التي يتطلبها الموقف وقد تتبع سيد قطب رحمه الله تلك القصة في عشرين موضعاً حسب نزولها في كتابه « التصوير الفني في القرآن » في فصل القصة وأوردتها مرتبة حسب نزولها وقد اقتديت بهذا الكتاب النفيس في عرضه للقصة وسلكت طريقه في تتبعها وعرضها في حوالي عشرين موضعاً مبتدئاً في السورة الثامنة في النزول وهي سورة الأعلى ومنتهاياً بسورة المائدة وهي الثانية عشرة بعد المائة .

١ - ففي سورة الأعلى - ٨ - إشارة سريعة وقصيرة في قوله :

« إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى » . وكذلك أشارت سورة النجم بإشارة خاطفة وهي قوله تعالى : « أم لم ينبأ بما في صحف موسى » .

٢ - وعند تلاوتنا لسورة الفجر - ١٠ - نجد الإشارة تتجه إلى فرعون وحده بدون ذكر لموسى . مع عاد وثمود لأن العبرة والعظة تكمن في ذلك وهي قوله : « وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب » . وتجد إشارة قريبة من هذا في سورة البروج وهي قوله تعالى : « هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود » .

٣ - وفي سورة الأعراف - ٣٩ في النزول - يبدأ أول تفصيل للقصة مشتركاً مع قصص نوح وهود ولوط وشعيب نجد فيه اتحاد صيغة الدعوة وكذا صيغة التكذيب والعقاب الذي حل بالملكذبين . وتبدأ القصة هنا برسالة موسى وهارون إلى فرعون وملئه « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه ... » الخ الآيات .

فهنا تتابع الآيات في سورة الأعراف فتذكر معجزة العصا واليد البيضاء وكذا جمع السحرة وما وقع بينهم وبين موسى من المباراة وكيف تغلب عليهم ثم تبين النتيجة الأولى من المباراة وهي إيمان السحرة ثم تذكر تعذيب فرعون لبني إسرائيل بعد ذلك والعقوبة الأولى التي أنزلها الله عليهم . واستغاثتهم بموسى ثم كف الأذى عنهم ثم عودتهم لصنيعهم القبيح وهو تعذيب بني إسرائيل ثم خروج هؤلاء من مصر ثم تبين أول أعمالهم بعد الخروج وهو طلبهم من موسى أن يتخذ لهم آلهة كما للمصريين آلهة وكيف ذكرهم موسى بربههم وميعاد موسى مع ربه بعد ثلاثين ليلة زيدت إلى أربعين وطلبه رؤية الله عز وجل والحوار الذي جرى بينه وبين الله وكيف ذلك الجبل وانصاع موسى وإفاقته وعودته إلى قومه حيث وجدهم قد أشركوا بالله واتخذوا لهم عجلاً إلهاً وغيثهم في الجبل وإفاقته ثم دعاؤهم بطلب الرحمة ورد

الله سبحانه عليهم بأن الرحمة قد كتبت للمتقين الذين يتبعون النبي الأمي فهي للمؤمنين خاصة .

٤ - بعد هذا ترد إشارتان للرسالة والتكذيب وعاقبة المكذبين وذلك مشتركاً مع قصص أخرى وقد عرضتا في سورة الفرقان - ٤٢ - والثانية في مريم - ٤٤ - ففي هاتين السورتين إشارة إلى بعض جوانب القصة .

٥ - أما في سورة طه - ٤٥ - فيبدأ عرض القصة بتفصيل آخر حيث يبدأ من قبل الرسالة التي ذكرت في سورة الأعراف تلك هي رؤية موسى للنار من جانب الطور :

« وهل أتاك حديث موسى إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلني آتيكم منها بقبس أو أجده على النار هدى . فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنيك بالوادي المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » .

وحين تكليفه بالذهاب إلى فرعون يقف يحاور ربه في إرسال أخيه هارون لأنه أفصح منه لساناً يشد أزره ويكون وزيراً له . وفي أثناء المحاورة يذكره الله بنعمته عليه في مولده وورده إلى أمه حيث حرّمت عليه المراضع وأبى أن يرضع غير أمه . وذكر ذلك في إشارة سريعة وعلى نحو سير القصة في الأعراف سارت بقية القصة هنا مع حذف آيات الجراد والقمل والضفادع والدم والعهد الذي أعطى فرعون لبني إسرائيل ونكثه إياه مع زيادة حلقة هي بيان صانع العجل وهو السامري وقصة صنع العجل ويغفل الميقات ويذكر المعاد بسرعة .

٦ - وفي سورة الشعراء - ٤٧ - تبدأ القصة من حلقة الرسالة وتمشي على نحو ما تمشت عليه من الخطوات إلى حلقة الخروج ولكن يرد هنا زيادة أمرين أولهما قتل موسى للمصري ، فهو يخشى من أن يقتص منه وتذكير فرعون له بأنه هو الذي رباه من صغره حينما كان وليداً وتذكيره فعلته وأنه مضى .

والأمر الثاني بيان انفلاق البحر كالطود العظيم . وهذا وذلك مع تنويع الكلام الذي جرى بين موسى وفرعون وإثبات موسى لإلهه بصفاته العظيمة وبمخلوقاته التي لا تحصى ، ومع هذا أيضاً تنوع الحوار مع سحرة فرعون .

٧ - أما في سورة النمل -٤٨- فيذكر هناك حلقة التكذيب والعقاب ولكن بإجمال ، وذلك مع قصص مشتركة .

٨ - وفي سورة القصص -٤٩- هناك تبدأ القصة من أول حلقة فيها حيث تذكر ميلاد موسى في وقت كان قومه يلاقون الصعاب من آل فرعون ، فهم يلاقون أشد العذاب في اضطهاد وتكيد و قتل للأطفال واستحياء للنساء ، ثم تسير القصة فتذكر وضع موسى في التابوت وإلقائه في البحر والتقاط آل فرعون له وكيف حرمت عليه المراضع وأمر أمه أخته أن تقص أثره وعثور أخته عليه ومعرفتها بأمره وإرشادها لآل فرعون بمرضع للطفل - هي أمه - ثم طور كبر موسى وقتله للمصري ومحاولته قتل الآخر من بعد ذلك وتهديده إياه بإفشاء سر القتل الأولى . ثم ذكر الرجل الذي جاء يسعى إلى موسى من أقصى المدينة ونصيحته له بالهروب والخروج من هذه المدينة وكيف خرج إلى أرض مدين والتقائه بإبنتي الشيخ الكبير وحواره معهما وسقيه لهما وإعجاب إحداهما به وإرشادها لأبيها باستخدامه وحثها والدها على ذلك ببيان الصفات الطيبة والخلق الكريم التي يتحلّى بها موسى ، وعمله مع صهره وزواج موسى من ابنة الشيخ حسب الشرط الذي بينهما ثم انفصال موسى عن حمّيه . ورحيله بأهله ثم مشاهدته للنار (ومن مشاهدة النار تبدأ القصة في سورة طه) فتسير القصة على نحو ما سارت هناك ولكن بزيادة واحدة هنا هي سخرية فرعون وتهكمه بالله عز وجل حيث طلب من هامان أن يبني له صرحاً من الطين ليطلع إلى إله موسى .

(فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلّي أطلع إلى إله موسى)

وتنتهي حلقات القصة عند غرق فرعون وإهلاكه بعد خروج موسى ونجاته مع بني إسرائيل .

٩ - أما في سورة الإسراء - ٥٠ - فهناك ذكر لإغراق فرعون وتمكين بني إسرائيل ولكن بإشارة سريعة .

١٠ - أما في سورة يونس ففي وسط قصص مشترك يأتي عرض قصير لبيان عاقبة التكذيب ومآل المكذبين . وقد ذكرت فيه حلقة السحرة بإيجاز ونجاة بني اسرائيل وتجاوزهم البحر ولحاق فرعون بهم وغرقه ولكن هناك زيادة في حلقة الغرق وهي قوله تعالى : « حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل » . فكان الرد عليه : « الآن ؟ وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فالיום ننجيك بيدنا لتكون لمن خلفك آية » .

وهذه زيادة لا تَرَدُّ إلا في هذا الموضع .

١ - ثم في سورة هود - ٥٢ - يرد هناك لمحة موجزة إلى الإهلاك بعد التكذيب وذلك في صدد قصص مشترك .

١٢ - وفي سورة غافر أو المؤمن - ٦٠ - تذكر حلقة الحوار بين موسى وفرعون ولكن يلاحظ زيادة هناك في الحوار وهي قول فرعون : « ذروني أقتل موسى وليدع ربه » .

وذكر الرجل الذي يكتم إيمانه . ودفاعه عن موسى وإشارته عليهم ألا يقتلوه فقد يكون على صراط مستقيم فهذه الزيادة لا ترد في غير هذا الموضع .

١٣ - أما في سورة فصلت - ٦١ - فهناك إشارة سريعة إلى القصة بإيجاز .

١٤ - وتزيد عن تلك السورة سورة الزخرف - ٦٣ - بإشارة ثانية فقاريء هذه السورة يجد فيها إشارتين سريعتين إلى القصة ، ولكن بزيادة

وهي قول فرعون : « أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ؟ أفلا تبصرون ؟ أم أنا خير » من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين .
والمتتبع للقصة يجد أن هذه القصة فيها زيادة لم ترد إلا في هذه السورة .
١٥ - ويوجد في سورة الذاريات -٦٧- إشارة سريعة خاطفة إلى بعض الحلقات وهي إرسال موسى إلى فرعون ورده للدعوة وجحوده وعقوبته وهلاكه بالغرق .

١٦ - وسورة الكهف -٦٩- تذكر حلقة مقابلة موسى للعبد الصالح وطلب موسى من العبد الصالح المصاحبة وإشارة العبد الصالح عليه وإخباره أنه لا يستطيع الصبر على أمثاله ، ووعده موسى له بالصبر ، وتذكر أيضاً ما جرى لهما وماذا فعل العبد الصالح في الطريق واستنكار موسى لأفعال العبد الصالح لأنه لا يدرك معناها بعقله البشري ولا يدرك مغزاها ثم الافتراق وقبل افتراقهما تفسير العبد الصالح لموسى ما جرى ، وتلك الحلقة لم تعرض إلا مرة واحدة وفي هذه السورة فقط .

١٧ - أما سورة إبراهيم -٧٢- فهناك إشارة سريعة إلى القصة وكذلك سورة الأنبياء -٧٣- ولكن تزيد هذه السورة عن السورة السابقة وصف التوراة بأنها فرقان .

١٨ - وفي سورة البقرة تعرض بعض حلقات القصة بتفصيل . وذلك بذكر النعمة التي أنعم الله على بني إسرائيل وتذكيرهم بها ومقابلتهم النعمة بالإساءة والجحود .

وترد هنا بعض الحلقات التي سيقت في قصة موسى - ومن ذلك إعطاؤهم المن والسلوى . ولكن يلاحظ هنا زيادة وهي تطهرهم على النعمة وطلبهم أنواعاً أخرى من النباتات والبقول بدل المن والسلوى ثم تكليفهم بذبح البقرة ومماطلتهم بذلك وتجاهلهم الأمر وطلبهم المعاذير حتى نفذت « فذبحوها وما كادوا يفعلون » فهم كلما تجاهلوا وماطلوا في الأعدار شدد الله عليهم .

وهذه الحلقة لم تعرض قبل هذا أبداً .

١٩ - أما سورة النساء -٩٢- فتذكر إشارة سريعة إلى طلبهم المحال وهو رؤية الله جهرة للدلالة على عنتهم ، وأنهم قوم يطلبون المحالات- والمستحيلات .

٢٠ - وقارئ القرآن حينما يقرأ سورة المائدة -١١٢- يلاحظ هناك ذكر وقوفهم على أبواب الأرض المقدسة وامتناعهم عن الدخول : « قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون » . وتستمر الآيات في سياق القصة إلى قوله : قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا . إنا ها هنا قاعدون . قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » . ويتركهم هناك في التيه فلا يذكر موسى بعد هذا ولم يذكر إلا تفرق بني إسرائيل وإظهارهم العداوة للمسيح وكيدهم للمسلمين ومحاربتهم للإسلام .

فمن هذا العرض الذي سبق يدرك الباحث في القصص أن ليس هناك تكرار ، فهذه القصة التي ذكرت فيما يقارب ثلاثين موضعاً قل أن تجد موضعين متشابهين . بل الملاحظ أن كل موضع يأتي بزيادة حلقة جديدة أو يُعرض مرة واحدة فقط ، ثم لا يعرض بعدها أبداً وهذا هو الغالب في الحلقات الأساسية أن لا تذكر مرة ثانية . فهذه القصة التي تتبعناها في المواضع السابقة تعتبر نموذجاً للقصص التي يظن أنها متكررة وما هي بمتكررة وعلى ضوءها يدرك الجميع أنه لا يوجد ذلك التكرار المطلق المزعوم في قصص القرآن . وما يقول ذلك إلا من يقرأ القرآن بلا تدقيق ولا تمحيص . وإنما يقرأه كأنما يقرأ جريدة أو شبهها من الكتابات العادية . ذات القيمة الزهيدة التي لا تشنف أذنًاً بخبر ولا تزيد جنانا بعبء ، ولا لساناً ببيان .

أما كتاب الله ففيه الخبر والعظة والحكمة تلذ لسماعه الأذان وتحشع عند تلاوته القلوب كيف لا . والمرء يجد فيه حاجته ديناً ودنيا ، فهو متعبد بتلاوته ويستفيد من قصصه . وينفذ أوامره ويحتمل نواهي هذا الدستور السماوي كلام العليم بمصالح العباد الخبير بأحوال الأمم فقصصه الحق— وأسلوبه الإعجاز ، وحق للإنسان أن ينبهر من إعجازه في قصصه وسائر فنونه فجعل من إله أنزله . فالقصة لم يتعدد ذكرها عبثاً وإنما هناك حكمة تكمن وراء هذا التكرار .

وسنحاول عرض أبرزها فيما يلي :

١ — بيان قدرة القرآن من الناحية الإعجازية فهو بهذا الفن مضرب المثل وإليه ينسب الإعجاز بشتى فنونه فلقد تحدى العرب أهل البلاغة والبيان وملوك العربية فلقد وقفوا حيارى أمام هذا الإعجاز الإلهي عند ما حاولوا النيل من بلاغة القرآن فهو تحداهم بعشر سور مثله ثم بسورة ، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره وما منهم من أحد تجرأ أن يصادم هذا التحدي وكانت النتيجة أن فغر الجميع أفواههم مشدوهين أمام هذه البلاغة الإعجازية الخارقة . وأي بلاغة أعظم من بلاغة تورد المعنى الواحد بأساليب مختلفة ، وصور متعددة فيراد القصة على هذه الطريقة مع عجز العرب الخالص البلاء عن الإتيان بمثل ذلك يكون أروع في النفس من الناحية الإعجازية وأبلغ في التحدي .

٢ — بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها وأسمى غاياتها والمشهور في البلاغة العربية الفصحى أنها تبرز المعنى الواحد في صور مختلفة وتلك الطريقة من خصائصها وسماتها فالقصة التي تورد متكررة إذا اتفقت الأساليب بعرضها مكنتها النفس وسم منها الوجدان وهذه جبلة جبلت عليها النفوس وتعودت عليها الحواس البشرية فإنها تمل تكرار الشيء بأي نوع من أنواع الحواس إذا كان هو نفسه لم يتغير ولكن القصة حينما تعرض بأساليب

مختلفة يتمايز بعضها عن بعض وتصاغ في قالب غير القالب السابق . ولا يمل الإنسان من هذه القصة بل تشرب النفس إليها وتشتاق إلى المزيد لأنها تدرك في كل عرض من المعاني ومن العبر ما لا تدركه فيما سبق مما قريء من أنواع الأساليب . فالنفس يتجدد شوقها كلما قرأ الإنسان القصة بأسلوب غير السابق لأنه يحس ويدرك فوائد جديدة .

٣ - ومن الحكم التي تدرك من تكرار القصة ترسيخ عبرها في النفس فإن الشيء إذا كرر يكون أبلغ في النفس فالتكرار من أنواع المؤكدات وهو أمانة من أمارات الاهتمام وعلى سبيل المثال قصة موسى وفرعون التي سبق ذكرها فهي تمثل الصراع المرير بين الحق والباطل أتم تمثيل وكما علمنا أن نتيجة القصة أن دُمغ الباطل وسطع نجم الحق : « وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » .

٤ - اختلاف الغاية والمقصد اللذين تورد من أجلها القصة فيجدها المرء تذكر بعض المعاني الوافية بالعرض المقصود في المقام المناسب وتبرز معاني أخرى في سائر المقامات بالنظر إلى ما تقتضيه الأحوال وما يتطلبه الموقف ، فلكل مقام مقال .

الرد على من زعموا أن القمص في القرآن عمل فني

ليس له حقيقة تاريخية

القرآن هو الدستور الخالد فهو الدستور السماوي القويم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنزله الله من فوق سبع سموات ليكون نظاماً للبشر يستنير به ضالهم ويستزيد به مؤمنهم ولكن هناك فئة من البشر تسرح وتمرح وتطلق لألستها العنان وتخوض في كلام الله بلا خوف ولا وجل . يحرفونه عن مواضعه ويؤولونه تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان ويخرجونه عن معناه الحقيقي ، وما علم أولئك العشوائيون الذين يتيهون في الظلم ، فهم في ليل دامس لا يبصرون طريقاً فيهتدون ولا يسمعون الداعي فيجيبون ، أما علم أولئك أنهم سلبوا كتاب الله إعجازه الذي تحدى به ملوك البيان من العرب الخالص فهم بمقولاتهم الشنيعة أتوا بما لم يأت به أبو جهل وأبو لهب وأمية بن خلف ألد أعداء الرسول من ناحية القدح في القرآن فلو كان هناك مغمز أو قدح لقاله هؤلاء العرب القح ولما وقفوا حيارى أمام تحديات القرآن الصارخة . ومع ذلك يخرج في هذا القرن المتلاطم بالمحن فئة من البشر يدعون العلم ويدعون الثقافة ويتسمون بالأدباء فيتكلمون بما توحى لهم عقولهم من هذيان وحُمتق ويقولون قولاً منكراً وزوراً . وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . فتعساً لهم وما صنعوا . لقد قالوا في القرآن تكرار ، وقالوا عن قصصه إنها عمل فني ليس له حقيقة وليس من شرطه الحقيقة ، وقالوا عنه أنه يعتمد على الخيال . وعللوا كلامهم هذا بتعليلات واهية ضعيفة

تمجها النفوس وتأباها الأذواق السليمة ويستدلون بأدلة واهية أيضاً لا تقوم بها حجة ولا تعتمد على برهان فقيحاً له من دليل وتعليل ومن ذلك قولهم أن الهدف من سياق قصص القرآن هو العبرة والعظة وهذا يحصل ولو لم تعتمد القصة على الحقيقة وقالوا أيضاً إن القصة إذا خالطها الخيال كانت أبلغ وأدركت إدراكاً حقيقياً . وهذا لا يحصل إلا بالخيال والصبغة الفنية ولا يعتبر له الحقيقة فلا يلزم من سياق القصة وقوعها . ويدرك كل مسلم خطورة هذا القول على البديهة . لأنه يعبر عن رأي صاحبه لأنه تشكيك في كتاب الله فكيف يعتمد المرء على تعاليم كتاب لا يعتمد على حقيقة وكيف تطمئن إليه النفس والمرء يعلم في قرارة نفسه ، أن ما يقرأه بعيد عن الحقيقة تعالى الله وتنزه كتابه عما يقولون وما يقوله كل المفترين الذين لا يميزون بين كلام الله ومسرحيات البشر . فالأمر عندهم سيان . ولكن بطبيعة الحال يعلم كل مؤمن رزقه الله البصيرة يعلم أن الإسلام تدار ضده الدوائر وتحاك ضده المؤامرات منذ بزوغ فجر الإسلام ، بل أعم من هذا أن الحق والباطل في صراع على هذا الكون الفسيح في سائر أرجاء المعمورة منذ وجدت البشرية حتى اشتعلت أول شرارة لهذا الصراع بين آدم أبى البشرية وبين إبليس . إلى أن تقوم الساعة .

وفي عصرنا هذا نرى المستشرقين في كتبهم واستطلاعاتهم يلوكون كلام الله بألسنتهم البذيئة السليطة . ويشوهون تعاليم الإسلام بقدر ما يستطيعون لأنهم يعبرون بذلك عن حقد دفين . ولكن الذي يندى له الجبين ويتمعر منه وجه كل مسلم و ، وتشمئز منه نفس المؤمن هو وجود أفراخ لأولئك الأشرار من أبناء المسلمين ومن جلدتهم بين أظهرهم فهم يتخبطون في كلام الله بحسن نية وبغيرها وهم كثيرون . فمنهم طه حسين ومنهم محمد أحمد خلف الله في كتابه الفن القصصي في القرآن الكريم .

وقد أشار إلى ذلك الأستاذ محمد الغزالي في كتابه « نظرات (١) في

القرآن « حيث قال ما نصه « وقد ظن بعض الجهلة أن القرآن يلجأ إلى الأساطير وتلفيق الحكايات لغرس معنى معين . وكتب في ذلك رسالة جامعية ليكون بها (دكتوراً) » وهذا الكفر الصغير يقوم على جهل كبير بكلام الله جل شأنه . وهو طبعاً بعض آثار الغزو الثقافي الصليبي لبلادنا

ثم يمضي الأستاذ محمد الغزالي بهذا الموضوع بكلام جميل أجاد فيه فيقول في ص ١٢٣ ما نصه : « زل الدكتور طه حسين في هذا المزلق حين انتحل من قبل ما قاله أحد المستشرقين : (للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل . وللإنجيل أن يحدثنا عنهما وللقرآن أن يفعل ذلك ولكن هذا لا يكفي لإثبات وجودهما بهذا الدليل) »

رحمك الله يا أستاذنا الغزالي لقد قلت الحق ما فيه الكفاية ولقد أجدت كما أجاد السلف الصالح من قبلك وكما أجاد الخلف الموفق للصراط — المستقيم ...

ولقد تكلم الأستاذ أحمد أمين على هذه الرسالة ووصفها بالخطورة وبين مزاياها وحذر منها حيث قال ما نصه .

« قد وجدتها رسالة ليست عادية بل هي رسالة خطيرة أساسها أن القصص في القرآن عمل في خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ والواقع إن محمداً فنان بهذا المعنى » .

ثم استطرد الأستاذ أحمد أمين مبيناً خطورة هذه الرسالة وآثارها السيئة وأورد أمثلة وشواهد من نص الرسالة (١)

ومن تكلم أيضاً حول هذا الموضوع الأستاذ مناع القطان تحت عنوان القصة في القرآن حقيقة لا خيال في كتابه مباحث في علوم القرآن في فصل القصص .

(١) نقد كتاب (الفن القصصي في القرآن) للأستاذ محمد الحضر حسين ص ٩٤ هكذا ذكر الأستاذ مناع القطان في كتابه « مباحث في علوم القرآن » وعنه نقلت وإليه يرجع حيث لم أعتز على الكتاب .

ومن أصحاب الأيادي البيضاء في هذا الموضوع الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه القصص القرآني في منظوقه ومفهومه حيث أفرد فصلاً خاصاً عن الرسالة إبتدأ في هذا الفصل في الرد على المقدم للرسالة وهو أمين الخولي . ولا أظن أمين الخولي يخفي على من قرأ الرسالة السالفة الذكر . حيث أنه قدم لها وأشار فيها وأطال في إطرأها ومديحها . وأخذ يكيل لها الثناء . ويدافع عنها بكلام لا يعتمد على حقائق علمية ولا براهين مقنعة بل دفاعه مجرد كلام لا طائل تحته إلا أنه يحمل السم الزعاف فلقد بدأ به الأستاذ عبد الكريم الخطيب في مستهل الفصل في ص ٢٩٢ تحت عنوان مع الأستاذ أمين الخولي .

بين فيها خطأ أمين الخولي وانزلاقه حيث أنزلق خلف الله في آرائه وأفكاره ثم يدخل في نقاش مع أمين الخولي يستمر إلى ص ٢٩٧ .

وطبيعي إذا كان هذا الموقف مع المقدم للرسالة فسيكون الموقف مع صاحبها أطول . فلقد كتب الأستاذ عبد كريم الخطيب في كتابه السالف الذكر عنواناً هو : مع الدكتور خلف الله ، ابتداءً من ص ٢٩٧ وانتهى في ص ٣٣٩ . تطرق فيما بين ذلك لزلات خلف الله ومقولاته الشنيعة ورد عليه برد جميل وبأسلوب علمي نزيه ويخرج قاريء هذا الفصل من ذلك بنتيجة طيبة وثمره يانعة فلقد أجاد وأفاد فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً .

فلقد قال ما نصه ص ٣٠٣ : نقول إن الدكتور خلف الله يتابع في هذا الرأي جماعة المستشرقين ويأخذ بوجهة نظرهم في القرآن الكريم من حيث أن مادته مسنقة من معارف اليهود والنصارى . وإن يكن من كلام الله

يقول جولد تسيهر : « إذن ما كان يبشره محمد خاصاً بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج يقيناً ، وأقام عليها التبشير . ثم يقول أفاد من تاريخ العهد القديم . وكان ذلك في أكثر الأحيان

عن طريق قصص الأنبياء» (١) ...

ويقول جولد تسيهر في موضع آخر :

« فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً والتي رآها جديرة بأن توظف عاطفة دينية حقيقية عند بني وطنه» (٢) !!

أليس ذلك الذي يقوله الدكتور خلف الله هو من هذا الذي يقوله جولد تسيهر ؟ بلى . فهو يرى أن القصص القرآني إنما جاء بأخباره ووقائعه وأحداثه على سمت ما كان يدور منها في محيط أهل الكتاب ، وخاصة اليهود سواء كان محلها مما في أيديهم من كتب أو أحاج وأساطير أه . ثم يمضي الأستاذ عبد الكريم الخطيب ويرد على نقاط الرسالة بتحليل دقيق ويرد على خلف الله بعنف وخصوصاً قوله بالأساطير في القرآن وقارئ الرسالة يتمعر وجهه حين يرى خلف الله قد أثبت أن القرآن أساطير . فخلف الله تخطب في القرآن وخاصة من الناحية القصصية ، لأن رسالته حول قصص القرآن . والرسالة كلها محشوة بالمقولات الشنيعة ، ومن أقواله ما يلي :

١ - قال إن في القصص القرآني تكرر ، وقد بحثنا ذلك في موضع التكرار وقد حرصت أن أوفيه حقه في موضعه المتقدم الذكر .

٢ - وقال إن القرآن نقل عن أقوام لا ينطقون العربية . بلغة عربية كفروعون وغيره ويتخذ ذلك دليلاً على الخيال وما علم أن القرآن منزّه عن الخيال وعن كل فن يعتمد على خيال ولا يأوي إلى الحقيقة فالخيال ما هو إلا من

(١) العقيدة والشريعة الإسلامية لجولد تسيهر . ترجمة المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى

وزميلييه ص ١٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٢ .

هذيان البشر ، وقد ادعى صاحب الرسالة أن القصة في القرآن لا تلتزم الصدق التاريخي كقوله : « موقف القرآن من قصة أصحاب الكهف موقف من لا يحكى الحقيقة التاريخية وإنما يحكى أقوال اليهود التي قد تطابق الحقيقة وقد لا تطابقها » (١) .

وأظن أن هذه العبارات لا تحتاج إلى تعليق فكل مسلم يدرك خطورتها وتناقضاتها ، تعالى الله عما يقول الظالمون .

٣ - وزعم خلف الله أن في القرآن أساطير حيث يقول ما نصه :
« إذا كان كل هذا ثابتاً فإننا لا نتحرج من القول بأن في القرآن أساطير لأننا لا نقول في ذلك قولاً يعارض نصاً من نصوص القرآن » (٢) .

وهذا القول تأباه نفس كل مسلم وتشمئز منه الإنسانية وتتشعر منه الأبدان والأمر لا يحتاج إلى زيادة إيضاح وبيان فهو قد شوّه الحقيقة وزاد الأمر على ذلك حيث وصل حداً في منتهى القبح وهو قوله « إن القرآن لم ينف الأساطير عن نفسه » وإيراده أدلة عند التحقيق تكون رداً عليه .

والأمر هنا في غاية الخطورة فالقرآن كتاب الله وآياته كلامه وما كان لكلمات الله أن تحمل باطلاً أو تتلبس به أو تقيمه إلى جوارها بل إنها تطمس الباطل وتسودّ وجه المتعاملين به .

وخلف الله وأضرابه الذين يدرسون قصص القرآن دراسة أدبية ويدرسون القصة الأدبية ويدركون أن من عناصر القصة الأدبية الخيال يعتمد على التصوير المجانب للحقيقة فلا يفرقون بين قصص القرآن والقصص الأدبية لأن القصص الأدبية كلما كانت مغرقة في الخيال كانت أشوق إلى النفس ولكن المسلم الحق هو الذي يؤمن إيماناً حقيقياً بأن القرآن كلام الله وهو منزّه عن هذيان البشر وخیالهم وعن التصوير الفني المجانب للواقع فكل

(١) الرسالة ص ٤٥ المسماة الفن القصصى في القرآن .

(٢) ص ١٧٧ .

ما أخبر به القرآن واقع لا محالة وقصص القرآن حقائق تاريخية صيغت بتصوير بديع وأساليب رائعة .

- « والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق » . ٣١ فاطر
« وأنزلنا إليك الكتاب بالحق » . ٤٨ المائدة
« نحن نقص عليك نبأهم بالحق » . ١٣ الكهف
« نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق » . ٣ القصص

فمما سبق يعلم خطورة الموقف ، وأن هناك فئة من البشر استهوتها الحضارة الزائفة والمدنية المنتنة والثقافة المشبوهة المسعورة تطاولت على اللغة العربية وتعدّوا ذلك إلى القرآن حيث تطاولوا على قصصه وجعلوها من الأعمال الفنية الأدبية وأنكروا حقائقها بهتاناً وزوراً . ولكن هناك من نذر نفسه لخدمة الدين والذود عن حياضه ، فهم للمنحرفين بالمرصاد يرقبون كل شاردة وكل واردة ،

« ولينصرن الله من ينصره » .

« وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون » .

أثر القصص القرآني في الدعوة والتربية والتهديب

إن القصص القرآني يعتبر من أروع المصادر للتأثير على الفرد والمجتمعات على حد سواء . فعلى ضوء ما درسنا في هذا البحث نلمس تأثيره العميق من ناحية الدعوة ، فهو يعتبر سجلاً خالداً للتوجيه والدعوة والتربية والتهديب وإصلاح شأن المجتمعات دنيا وديناً لأنه يحمل في طياته أخباراً لأقوام فسقوا وعتوا عن أمر ربهم وعاثوا في الأرض فساداً ثم يشعر بعقاب هؤلاء وبمصيرهم الرهيب وخاتمتهم التي تقشع منها الجلود كقوم نوح وقوم لوط وقوم صالح وفرعون وجنوده ، وغيرهم . ويحمل أيضاً أخباراً للأفراد ألهموا رشدهم فسعدوا وسعدت بهم المجتمعات . فقد كانوا سبباً لإخراج البشرية من الظلمات إلى النور وأود هنا بيان أثر القصص القرآني في الدعوة أولاً ومن بعده يليه أثره في التربية والتهديب .

أثر قصص القرآن في الدعوة

الداعية لا يكون موفقاً في دعوته إلا إذا كان يتخذ كتاب الله مشعلاً يستنير به فهو كتاب دعوة وتاريخ لسيرة الدعوة فبما أن الدعوة هدف سام نبيل لا يقوم به إلا أفراد رزقوا صبراً وثباتاً على الشدائد والمحن ، ويتمثل ذلك في شخصيات أولي العزم من الرسل وسائر الأنبياء والمرسلين والصالحين من البشر . فالدعوة رسالة وإصلاح تتخذ من قصص الأنبياء وأقوامهم ما يؤيد بروزها وخروجها إلى حيز الوجود ، لأن في قصص القرآن مثلاً للدعوة والداعية والمصدقين والمكذبين فسياق القصص عبارة عن خطاب للبشرية جمعاء وللدعاة خاصة . فهي تحكي حال أقوام اندرسوا وبقيت آثارهم يتعظ بها المنحرف . ويتذكر بها المهتدي . فقصاص القرآن يعتبر سلماً يصل به الداعية إلى هدفه المنشود وغايته السامية فالداعية حينما يضع نصب عينيه القصص القرآنية الماضية وأخبار الأمم البائدة فلا شك أنه سينهج نهج الصالحين منهم في جميع مراحل دعوته لأن له بهم أسوة وله في أفعالهم قدوة .

وكيف لا يكون ذلك وهو يؤمن بقرارة نفسه أن القرآن حق نزل من عند الحق جل وعلا وقصصه الحق وقوله الحق من أخذ به نجاً ، ومن أعرض عنه هلك ، وما يعرض عنه إلا زائغ العقيدة منحرف الاتجاه لا يؤنبه ضمير ولا يردعه زجر واعظ . فمن هنا نعلم مدى تأثير القصص القرآني في الدعوة وتحريكه لوجدان الأمم واستثارة عواطفهم إلى الله الواحد القهار .

وهذا هو الهدف من إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

وهذا الأساس يتفق فيه الصالحون عبر القرون الماضية واللاحقة وهو توحيد العبادة لله الواحد النهار وهذا التوحيد وهذا الاتحاد في العقيدة لا يتم إلا بدعاة يدعون إلى الله وحده لا شريك له وهؤلاء الدعاة لا بد لهم من طريقة يدعون إلى الله بها على بصيرة وهذه الطريقة طريقة الرسل المتمثلة بكتاب الله وقصص أنبيائه وعبره وعظاته .

أثر القصص القرآني في التربية وتهذيب

القصص القرآني مليء بالتوجيه والتهذيب فكثير من القصص نسمع فيها وصايا الأنبياء وتوجيهاتهم لأقوامهم ونصحهم وإرشادهم ، وتتلو ذلك حيث أننا متعبدون بتلاوة ذلك مأمورون بالاعتداء بالصالحين ومحذرون عن سلوك طريق الفسقة والمالحين . فنجد فيه كلاماً منسقاً وهدياً منسجماً صدر عن مشكاة واحدة وانساق إلى هدف واحد وإن طال فارق الزمن وكأنهم خطباء في آن واحد قاموا لعلاج مشكلة واحدة أو مشاكل المجتمعات . فإن القرآن حين يعرض القصص ويجدد ذكرها فإنما يعالج بها عللاً مشابهة لها وأمراضاً اجتماعية كثيرة فيعالج بأنواع العبر وشتى النذر . فهو قد نزل من عند رب العالمين الخبير بشئون العباد . فهو دستور تستمد منه التربية أهم عناصرها فهو أعظم مواردها وأهم مصادرها فله الفضل أولاً وآخرآ فهو يغرس الفضيلة ويحارب الرذيلة فهو النواة الناجحة لإصلاح المجتمعات .

ومن طرق القرآن التربوية القصص وسياق الأمثال فإن الإنسان بطبيعته مشغوف بالقصص فكل إنسان فطر على حب الاستطلاع وتبع الأحداث والاستماع لكل جديد فهو يسعى دائماً للكشف عن الغامض والاستماع للماضي .

والقرآن مملوء بالقصص ذات العبر فإذا تتبع المسلم نتيجة القصة انطبعت في نفسه تعاليمها فهو دائماً يحاول التحلي بصفات المؤمنين ويتعد عن صفات الكافرين المذكورين في القصة التي قرأها ، فهذه بعض الأهداف والأساليب

التربوية الإسلامية تتابع عليها علماء الإسلام يقتفون آثارها بفطرتهم ويربون الشبية الإسلامية عليها فالقصة تنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر فهي تملك الشعور بلا ملل ولا إرهاق .

ويستطيع أي مربٍّ تربوي أن يصوغ القصة القرآنية بأسلوب يلائم مستوى المتعلمين في سائر المراحل وقد فطن لتلك الناحية بعض الدعاة فألف بعض المؤلفات فكانت موفقة وناجحة ومن هؤلاء «سيد قطب والسحار» في مجموعة القصص الديني كما قدم «علي الجارم» القصص القرآني . وكذلك مجموعة قصص النبيين للسيد أبي الحسن علي الحسيني التديوي وغيرهم من الكتاب الذين يسعون لأهداف نبيلة ويأخذون بيد المجتمعات إلى التربية الإسلامية الفاضلة . التي هي طابع المجتمع الإسلامي في عصر السلف الصالح أئمة الهدى ومصايح الدجي .

وياحبذا لو نهج الكتاب المعاصرون المنتسبون إلى الإسلام نهج صالحى الأمة ودعاتها ، وجاهدوا بأقلامهم وألسنتهم وشاركوا المجتمع الإسلامي محتته في عصرنا الحاضر فهو يسير إلى طريق مظلم رهيب ويزحف نحو الهاوية . وما ذلك بغريب وأبناء المسلمين اتخذوا من المستشرقين قدوة ، ومن الحضارة الغربية دليلا ، وما علم أولئك أن الحضارة الغربية الزائفة ما هي إلا كخضراء الدمن ، وما علم أولئك أن الحضارة الإسلامية بلغت الرقي وسبقت الحضارة الغربية من الناحية التربوية وغيرها بقرون ، وذلك حينما كانت أوربا وغيرها من الأمم تعيش في عصورها المظلمة فحضارة أوربا المعاصرة عالة على الحضارة الإسلامية من جميع نواحيها ولكن الغربيين وغيرهم من الأمم الهمجية أخذوا بالحضارة الإسلامية وشوهوها وأدخلوا عليها عاداتهم القبيحة وقوانينهم البربرية البهيمية وأعادوها إلى أبناء المسلمين ملوثة دميمة وما أكثر من استجاب لأبواق أولئك الأقوام الأشرار من مستشرقين ومبشرين ودعاة مدنية ، فلقد انقلبت الدعوى وتفرق المسلمون شيعاً وانتكست الأمور

وانقلب الخلل أرقماً ، وأصبح بعض المسلمين ذئاباً في ثياب البشر ، وهذه سنة الله في الكون .

« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » .

وإن للحق جولة وللباطل نهاية وإن لنا لأملاً في أن يحقق الله أمانينا ويلهم أمتنا رشدها . وإن غداً لناظره قريب .

ثم إن جهد مبارك

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

٦	معنى القصص
٧	قصص القرآن
٩	دراسة تحليلية تتضمن عناصر القصة
١٠	العنصر الأول : الشخصية
١٠	(أ) شخصية الرجال
١٢	(ب) شخصية النساء
١٤	(ج) شخصية الطير ، ويمثلها الهدهد
١٥	(د) شخصية الحشرة وتمثلها النملة
١٥	(هـ) شخصية الملائكة
١٦	(و) شخصية الجن
١٧	(ز) شخصية إبليس
١٨	العنصر الثاني : الحادثة
١٩	العنصر الثالث : الحوار
٢٣	تتمة
٢٤	أنواع القصص في القرآن
٢٥	(أ) قصص الأنبياء - قصة نوح
	(ب) قصص يتعلق بجوآث غابرة ووقائع حادثة وأشخاص لم تثبت
٢٩	نبوتهم - قصة إبنى آدم

- (ج) قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم — غزوة بدر الكبرى ... ٣٤
- فوائد القصص في القرآن ... ٤٢
- تكرار القصة الواحدة والرد على من قال أن في قصص القرآن تكرار ... ٤٩
- حكمة التكرار في قصص القرآن ... ٥٠
- الرد على من قال أن القصص القرآني عمل في ليس له حقيقة تاريخية ... ٦١
- أثر القصص القرآني في الدعوة والتربية والتهذيب ... ٦٨
- (أ) أثر القصص القرآني في الدعوة ... ٦٩
- (ب) أثر القصص القرآني في التربية والتهذيب ... ٧١
- الفهرس ... ٧٥
- مراجع ومصادر البحث ... ٧٧

مراجع البحث

- | الرقم | اسم الكتاب | المؤلف |
|-------|---|--------|
| ١ - | القرآن | |
| ٢ - | تفسير المنارج ١ - السيد محمد رشيد رضا - الطبعة الثالثة ١٣٦٧ هـ . | |
| ٣ - | مباحث في علوم القرآن - للأستاذ مناع القطان | |
| ٤ - | قصص الأنبياء - عبد الوهاب النجار | |
| ٥ - | قصص القرآن - محمد أحمد جاد المولى ورفاقه - الطبعة التاسعة . | |
| ٦ - | نظرات في القرآن - محمد الغزالي - الطبعة الثانية . | |
| ٧ - | القصص القرآني في منطوقه ومفهومه - عبد الكريم الخطيب - الطبعة الأولى . | |
| ٨ - | الفن القصصي في القرآن الكريم - للدكتور محمد أحمد خلف الله . | |
| ٩ - | قصص من القرآن - محمود زهران . | |
| ١٠ - | القرآن والقصة الحديثة - محمد كامل حسن المحامي | |
| ١١ - | في ظلال القرآن - للشهيد سيد قطب . | |
| ١٢ - | مناهل العرفان - محمد عبد العظيم الزرقاني . | |
| ١٣ - | التبيان في علوم القرآن - محمد علي الصابوني . | |
| ١٤ - | اعجاز القرآن - مصطفى صادق الرافعي - الطبعة الثامنة - ١٣٨٤ هـ | |
| ١٥ - | التصوير الفني في القرآن - لشهيد الإسلام سيد قطب . | |
| ١٦ - | فتاوى شيخ الإسلام - أحمد بن تيمية - المجلد السابع عشر والتاسع عشر والثامن عشر الطبعة الأولى ١٣٨٢ هـ . | |
| ١٧ - | التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح - للحسن بن المبارك . | |
| ١٨ - | البداية والنهاية - لابن كثير . | |
| ١٩ - | السيرة النبوية - لابن هشام . | |

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف
٢٠ -	مختصر السيرة -	لمحمد بن عبد الوهاب
٢١ -	مختصر سيرة الرسول -	لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .
٢٢ -	نور اليقين في سيرة سيد المرسلين -	محمد الحضري بك - الطبعة الثالثة والعشرون .
١٣ -	القاموس المحيط -	للفيروز بادي .
٢٤ -	تذكرة الدعاة -	البهي الخولي .
٢٥ -	منهج التربية الإسلامية -	محمد قطب - الطبعة الثانية .
٢٦ -	دعوة الرسل -	محمد أحمد العدوي .

طبع في مطابع الرياض

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com



طبع في مطابع الرياض